أسرار التعبير بالجملة الحالية الماضوية
في القرآن الكريم
دراسة تطبيقية في سورة البقرة

إعداد

الدكتور/ محمد فوزي إبراهيم سعد نصير

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

والأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الشريعة والقانون - جامعة الجوف - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

أسرار التعبير بالجملة الحالية الماضوية في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة البقرة

محمد فوزي إبراهيم سعد نصير
قسم التفسير وعلوم القرآن , كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا
قسم الدراسات الإسلامية , كلية الشريعة والقانون-جامعة الجوف- السعودية
البريد الإلكتروني : MuhammadFawzi.el.118@azhar.edu.eg

الملخص :
تناول البحث موضوع " الجملة الحالية الماضوية في القرآن الكريم " من حيث : التعريف بمصطلح الحال ، والتأصيل له ، والتطبيق للجملة الحالية الماضوية على سورة من سور القرآن الكريم ألا وهي سورة البقرة ، ويهدف البحث إلى إبراز وجه من وجوه الإعجاز اللغوي المتعلقة بالنظم القرآني ، والوقوف على أسرار التعبير بالجملة الحالية الماضوية في القرآن الكريم من خلال التطبيق على السورة الكريمة. وقد تعرض البحث لبيان المدلول اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الحال ، ثم تطرق إلى بيان أوصاف الحال ، واتضح أن للحال أربعة أوصاف هي : أن تكون نكرة ، وأن تكون منتقلة ، وأن تكون مشتقة ، وأن تكون نفس صاحبها في المعنى. ولكي تكتمل جوانب الدراسة تناول البحث أقسام الحال بالبيان والدراسة، وتوصل إلى أن للحال أقساماً متنوعة باعتبارات مختلفة ، فتنقسم بحسب انتقالها عن صاحبها ولزومها له إلى قسمين : منتقلة ، وملازمة. وتنقسم من حيث كونها مقصودة لذاتها وموطئة إلى قسمين : مقصودة لذاتها وموطئة. وتنقسم من حيث التبيين والتأكيد إلى قسمين : مبينة -أو مؤسسة- ومؤكدة. وتنقسم من حيث حصول معناها إلى صاحبها وعدمه إلى قسمين : حقيقيَّة ، وسببية. وتنقسم بحسب الزمان إلى ثلاثة أقسام : مقارنة ، ومقدرة ، ومحكية. وتنقسم من حيث الإفراد وعدمه إلى ثلاثة أقسام : مفرد ، وجملة ، وشبه جملة. ثم تناول البحث الدراسة التطبيقية للجملة الحالية الماضوية في سورة البقرة ، وتوصل إلى أن عدد مواضع الجمل الحالية الماضوية في سورة البقرة ستة وعشرون موضعا ، تتنوع أسرارها ودلالاتها بين الشك ، والذم ، والدوام والاستمرار ، والتأكيد ، والتعريض ، والإنكار ، والتعليل ، والنهي ، والتقرير ، والتشبيه ، وغير ذلك.

الكلمات المفتاحية : أسرار-التعبير-الحال-الجملة الحالية الماضوية – القرآن.

Secrets of Expressing the Present and Past Tense Sentence in the Holy Quran : An Applied Study of Surat Al-Baqarah

Muhammad Fawzi Ibrahim Saad Naseer
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Islamic Propagation, Tanta University
Department of Islamic Studies, Faculty of Sharia and Law, Al-Jouf University, Saudi Arabia
E-mail : MuhammadFawzi.el.118@azhar.edu.eg

Abstract :
The research dealt with the topic of " the present-past sentence in the Holy Qur'an " in terms of : the definition of the term adverb, its rooting, and the application of the present-past sentence to a surah of the Holy Qur'an, which is Surah Al-Baqarah. The research aims to highlight an aspect of the linguistic miracle related to the Quranic system, and to identify the secrets of expressing the past present sentence in the Holy Quran through application to the Holy Surah. The dealt with explaining the linguistic and technical meaning of the term " Hal " . Then the research addressed explaining the descriptions of " Hal " , and it became clear that " Hal " has four descriptions : to be indefinite, to be transferred, to be derived, and to be the same as its owner in meaning. In order to complete the aspects of the study, the research dealt with the sections of the state with clarification and study, and concluded that the state has various sections with different considerations, so it is divided according to its transfer from its owner and its adherence to it into two sections : transferred and adherent. It is divided in terms of being intended for itself and preparatory into two sections : intended for itself and preparatory. It is divided in terms of clarification and confirmation into two sections : clarified or established and confirmed. It is divided in terms of its meaning reaching its owner or not into two sections : real and causal. It is divided according to time into three sections : comparative, estimated, and narrated. It is divided in terms of singularity or lack thereof into three sections : singular, sentence, and quasi-sentence. Then the research dealt with the applied study of the present past sentence in Surat Al-Baqarah, and concluded that the number of present past sentences in Surat Al-Baqarah is twenty-six places, and their secrets and meanings vary between doubt, blame, permanence and continuity, confirmation, insinuation, denial, explanation, prohibition, confirmation, simile, and others.

Keywords : Secrets - Expression - State - Present Past Sentence - Quran.

مقدمـة

الحمد لله الذي أنار القلوب بكتابه ، وجعله نبراساً نسير على منهاجه ، وأودع فيه من الدلالات والأسرار ما يحفّز العقول على تدبرها ، واستنباط أسرارها، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وخاتم رسل الله ، سيدنا محمد بن عبد الله(ﷺ) ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن القرآن الكريم كلام الله المعجز المنزّل على النبي(ﷺ) ، وقد تحدى الله به أهل البلاغة والبيان ، والفصاحة واللسان ، فعجزوا عن أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة منه.

وليس في الوجود كتاب نال عناية العلماء واهتمامهم مثل القرآن الكريم ؛ ومن ثم فإن العلماء قضوا حياتهم وأفنوا أعمارهم في سبيل الوقوف على أسراره ، وتدبر مقاصده ، وبيان وجوه إعجازه.

والمتمعن في القرآن الكريم يدرك أن للنظم القرآني سماته التي يتميز بها عن غيره ، بما فيه من دقة الألفاظ ، وروعة المعاني ، وقوة التصوير ، وجمال التعبير، وأن الإعجاز اللغوي بمجالاته الثلاثة–غريب القرآن ، وإعراب القرآن ، وبلاغة القرآن– من أبرز وجوه الإعجاز القرآني.

ولا يستطيع بيان معالم هذا الإعجاز اللغوي إلا من كان ملماً بقواعد اللغة العربية وأصولها ؛ ومن ثم كانت علوم اللغة العربية من نحو ، وصرف ، وبلاغة من أبرز العلوم الواجب توافرها في المفسر ؛ للوقوف على دلالات الألفاظ وأسرارها.

والمتأمل في النظم القرآني يدرك أن الجملة الحالية قد وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، وأنها لم تأت اعتباطاً أو عبثاً ، وإنما جاءت لتضيف الكثير من الدلالات والمعاني والأسرار التي تتناسب تمام التناسب مع السياق الذى وردت فيه .

ولما كانت الجملة الحالية في القرآن الكريم بهذه المثابة أحببت أن أدلو بدلوٍ في نوع من أنواعها ألا وهي الجملة الحالية الماضوية ؛ تجليةً لأسرارها ، وبياناً لدلالاتها ، فجاء موضوع البحث : **أسرار التعبير بالجملة الحالية الماضوية في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة البقرة.**

ومن أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي :

١- الرغبة الشديدة في الإسهام في خدمة القرآن الكريم ، ولو بهذا الجهد المتواضع من خلال هذا الموضوع.

٢- محدودية الدراسة في هذا الموضوع لا سيما فيما يتعلق بالأسرار والدلالات ؛ الأمر الذي شجعني على دراسته.

٣- تحرير المدلول اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الحال ، وبيان أوصافه ، وأقسامه.

٤- قلة الجانب التطبيقي لهذا الموضوع ؛ ومن ثم اخترت سورة أُبرز من خلالها أسرار التعبير بالجملة الحالية الماضوية في القرآن الكريم.

لهذه الأسباب وغيرها عزمت على دراسة هذا الموضوع فأقبلت بعون الله وتوفيقه على هذا العمل بجد واجتهاد.

أهداف البحث :

١-إبراز وجه من وجوه الإعجاز اللغوي المتعلقة بالنظم القرآني.

٢- إظهار الصورة الكاملة لمصطلح الحال من بيان مدلوله ، وذكر أوصافه ، وتجلية أقسامه.

٣- الوقوف على أسرار التعبير بالجملة الحالية الماضوية في القرآن الكريم من خلال التطبيق على سورة من سور القرآن الكريم.

الدراسات السابقة :

بعد البحث والاطلاع حول ما كُتب عن موضوع البحث وقفت على بعض الأبحاث التي عنيت في المقام الأول بإبراز الجانب النظري لمصطلح الحال ، من أهم هذه الأبحاث :

١-الجملة الحالية في القرآن الكريم إحصاء ودراسة : للدكتور : محمد حسين أبو الفتوح ، بحث منشور في مجلة جامعة الملك سعود : عام ١٤٠٩هـ ، والبحث عبارة عن دراسة إحصائية للجملة الحالية في القرآن ، اقتصر فيه مؤلفه على سرد الجمل القرآنية الواقعة حالاً في القرآن الكريم .

٢-الحال في النحو العربي وآراء النحاة فيه : للدكتور : لؤي حاتم عبد الله ، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، المجلد(١٧) ، العدد : الأول : ديسمبر ٢٠١٠م ، والبحث عبارة عن دراسة لغوية كما هو واضح من عنوانه ، تناول فيه مؤلفه مصطلح الحال من حيث : تعريفه وتنكيره ، ووقوع المصدر حالاً ، وتعريف صاحب الحال وتنكيره ، والتقديم والتأخير.

٣-الحال وأنواعها نماذج من القرآن الكريم : للدكتور : السيد حسين مسعود عبد السيد ، بحث منشور في مجلة كلية اللغات-جامعة طرابلس ، العدد : السابع عشر : مارس : ٢٠١٨م ، تناول فيه الباحث باختصار : تعريف الحال ، وصفته ، وأقسامه ، وقد جاء البحث في ثلاث عشرة صفحة.

<u>أما الجديد في هذا البحث فهو</u> : تناول مصطلح " الحال " من الناحيتين : **<u>الأولى : النظرية</u>** المشتملة على توضيح مدلوله ، وذكر أوصافه ، وبيان ما يتعلق بصاحبه ، وتجلية أقسامه.

<u>والثانية : التطبيقية التفسيرية</u> من خلال ذكر أسرار التعبير بالجملة الحالية الماضوية في سورة البقرة ، وقد بلغت عدد المواضع في السورة الكريمة ستة وعشرين موضعاً.

منهج البحث :

اقتضى هذا البحث الاعتماد على أكثر من منهج من مناهج البحث العلمي ، ويمكنني إجمالها فيما يلي :

١- المنهج الوصفي : المتمثل في تقديم صورة واضحة عن مدلول الحال ، وذكر أوصافه ، وبيان ما يتعلق بصاحبه ، وتجلية أقسامه.

٢- المنهج الاستقرائي : المتمثل في استقراء سورة البقرة ، وتتبع آياتها ؛ للوقوف على مواضع الجملة الحالية الماضوية في السورة الكريمة.

٣- المنهج التحليلي : المتمثل في دراسة مواضع الجملة الحالية في السورة الكريمة دراسة تحليلية.

٤- المنهج الاستنباطي : المتمثل في استنباط أسرار التعبير بالجملة الحالية الماضوية في السورة الكريمة.

خطوات عملي في البحث :

أما عن طبيعة عملي في هذا البحث فقد تمثلت في عدة خطوات أجملها فيما يلي :

أولاً : ذكرت الآية القرآنية المشتملة على الجملة الحالية الماضوية.

ثانيا : بيَّنت موضع الجملة الحالية الماضوية وصاحبها في الآية الكريمة.

ثالثاً : إذا كانت الجملة الحالية الماضوية لها موقع إعرابي آخر أذكره ، ثم أنسبه في الهامش إلى من قال به من المفسرين.

رابعاً : ذكرت سر التعبير بالجملة الحالية الماضوية في الآية الكريمة.

خامساً : استشهدت بأقوال المفسرين في الدلالة على صحة أسرار التعبير المستنبطة من الجملة الحالية الماضوية في الآية الكريمة.

سادساً : عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى سورها.

سابعاً : خرَّجت الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها الأصيلة ، فما كان منها في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به.

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة ، وخمسة مباحث ، وخاتمة ، وبيانها كالتالي :

المقدمة : وقد اشتملت على ما يلى :

١- أهمية الموضوع.

٢- أسباب اختياره.

٣-أهداف البحث.

٤-الدراسات السابقة.

٥- منهج البحث.

٦- خطة البحث.

المبحث الأول : المدلول اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الحال.

المبحث الثاني : أوصاف الحال.

المبحث الثالث : صاحب الحال

المبحث الرابع : أقسام الحال.

المبحث الخامس : الدراسة التطبيقية للجملة الحالية الماضوية في سورة البقرة.

الخاتمة : -أسأل الله حسنها- وقد تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وبعض التوصيات المقترحة ، ثم ذيلت البحث بالمصادر العلمية.

وفي الختام : أشكر الله -سبحانه وتعالى- على توفيقه لي في دراسة هذا الموضوع ، فإن وفّقت فيما قدمت فمن فضل الله عليَّ وكرمه ، وإن أخفقت في بعض المسائل فهذا شأني كإنسان ، وغاية ما أتمناه رضا الله – عز وجل -.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يعفو عن زلاتي فيه ، وأن ينفع به كل من اطّلع عليه ، إنه أكرم مسؤول ، وأعظم مأمول.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

المدلول اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الحال

يحسن بنا قبل الخوض في غمار هذا البحث أن نقف على المدلول اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الحال ، وأبدأ بالمدلول اللغوي.

أ- المدلول اللغوي لمصطلح الحال :

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية وجدت أن كلمة حال " تذكّر وتؤنث ، فيقال : حال والجمع أحوال ، وحالة والجمع : حالات ، وتطلق في اللغة العربية على عدة معان منها :

١-حالة الإنسان وما كان عليه من خير أو شر :

جاء في لسان العرب : " والحال : كينة الإنسان وهو ما كان عليه من خير أو شر ، يذكر ويؤنث ، والجمع أحوال وأحولة " (١)

٢- الصفة المتعلقة بالموصوف.

جاء في تاج العروس: "الحال يستعمل في اللغة للصفة التي عليها الموصوف" (٢)

٣- الأمور الحسية والمعنوية التي تعترى الإنسان .

قال العلامة الراغب الأصفهاني : " والحال : لما يختص به الإنسان وغيره من أموره المتغيرة في نفسه وجسمه وقنيته " (٣)

---

(١) لسان العرب للعلامة : محمد بن مكرم بن منظور (١٩٠/١١) مادة(حول) ط : دار صادر – بيروت– الطبعة: الثالثة : ١٤١٤هـ.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس : للعلامة : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(٣٧٤/٢٨) ، مادة(ح ول) ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، ط : مطبعة حكومة الكويت ، ط سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

(٣) المفردات في غريب القرآن: للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ " لراغب الأصفهانى " (٢٦٧/١)، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، ط : دار القلم ، الدار الشامية – دمشق – بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤١٢هـ.

٤- عرض سريع الزوال.

ورد في تاج العروس : " الحال : يطلق على كيفية سريعة الزَّوال ، نحو حرارةِ وبرودة ورطُوبة ويبوسة عارِضة " (١)

٥- نهايةُ الماضي وبدايةُ المستقبل.

قال صَاحب تاجَ العروس : " الحال لُغَةً : نهايةُ الماضي وبدايةُ المستَقْبل " (٢)

٦-الوقت الذي فيه الإنسان أو الزمن الحاضَر.

جاء في القاموس المحيط : " الحال : الوقت الذي أنت فيه " (٣)

٧-انقلاب الشيء عما كان عليه :

جاء في الصحاح : " وحال عن العهد حؤولاً : انقلب ، وحال لونه ، أي تغيَّر واسود ، وحال الشئ بينى وبينك : أي حجز ، وحال إلى مكانٍ آخر ، أي : تحول ، وحال الشخص ، أي تحرَّك " (٤)

وأقرب هذه المعاني إلى المعنى الاصطلاحي المعنى الثاني : الصفة المتعلقة بالموصوف ؛ لأن الحال وصف فضلة.

ب- الحال في اصطلاح اللغويين(٥) :

عرف الحال بتعريفات متعددة ، من هذه التعاريف : ما عرفه العلامة ابن

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (٣٧٤/٢٨) ، مادة(ح ول).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) القاموس المحيط : للعلامة : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى : (٩٨٩/١) ، مادة(ح ول) ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، ط : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، الطبعة : الثامنة ، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م ، وينظر : لسان العرب(١٩٠/١١)) مادة(حول).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : للعلامة : إسماعيل بن حماد الجوهري(١٦٧٩/١) مادة(حول) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط : دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة : الرابعة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

(٥) تم التقييد باصطلاح اللغويين ؛ ليخرج الحال عند علماء البلاغة وغيرها من العلوم.

مالك حيث قال : " الحال وصف فضلة منتصب .. مفهم في حال كفرداً أذهب " (١)(٢)

أما العلامة ابن هشام فعرفه في قطر الندى بقوله : " الحال : وصف فَضْلَةٌ يقع في جواب كيف ، كـ " ضربت اللص مكتوفاً " (٣)

وقد ذكر –رحمه الله– شروطه فقال : " وهو عبارة عمَّا اجتمع فيه ثَلَاثَة شُروط أَحدها : أَن يكون وصفاً ، والثاني : أَن يكون فضلة ، والثالث : أَن يكون صالحاً للوقوع في جواب كَيف ، وذَلِك كَقولك : ضربت اللص مكتوفاً " (٤)

وعرفه في شذور الذهب : بقوله : " الحال : وصف فضلة مسوق لبيان هيئة صاحبه ، أَو تأكيده ، أَو تأْكيد عامله ، أَو مضمون الْجملة قبله ، نحو ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا﴾ [سورة القصص من الآية : ٢١] ، ﴿لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة يونس من الآية : ٩٩] ، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ [سورة النمل من الآية : ١٩]

(١) الخلاصة في النحو(ألفية ابن مالك) : للإمام : أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي ، ص : ٢٢ ، ضبطها وعلق عليها : الدكتور/عبد اللطيف بن محمد الخطيب ط : مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع في الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٢) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : للإمام : جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري(٢/٢٥٠) تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ ، و شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو : وهو شرح للشيخ : خالد بن عبد الله الأزهري على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للإمام : جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، (١/٥٧٠ ، ٥٧١) : الناشر : دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م ؛ لمعرفة تعقب العلامة ابن هشام تعريف العلامة ابن مالك ، وشرح هذا التعقيب من العلامة خالد الأزهري.

(٣) قطر الندى وبل الصدى : للإمام : جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري : ص١٨ ، ط : دار العصيمي للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى بدون تاريخ.

(٤) شرح قطر الندى وبل الصدى : للإمام : جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، ص٢٣٤ ، تحقيق العلامة : محمد محيى الدين عبد الحميد الناشر : القاهرة ، الطبعة : الحادية عشرة : ١٣٨٣هـ.

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [سورة النساء من الآية : ٧٩][1] "

فـ﴿خَآئِفًا﴾ : حال من فاعل ﴿فَخَرَجَ﴾المستتر ، وهي مبينة لهيئته ، حيث خرج سيدنا موسى–عليه السلام – خائفاً من القتل أومن أن يدرك ، و﴿جَمِيعًا﴾حال من﴿مَن﴾مؤكدة لها ، و﴿ضَاحِكًا﴾حال من فاعل﴿فَتَبَسَّمَ﴾المستتر ، وهي مؤكدة لعاملها–﴿فَتَبَسَّمَ﴾–لفظاً ، و﴿رَسُولًا﴾حال من الكاف في﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ مؤكدة لعاملها–﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾–لفظاً ومعنى.

أما المؤكدة لمضمون الجملة قبلها فكقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾[سورة البقرة من الآية : ٢] ، فجملة﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ حال من ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ وهي مؤكدة لمضمون الجملة قبلها.

نخلص من هذه التعريفات إلى أنها تدور حول كون الحال : وصف فضلة مبين هيئة صاحبه(الفاعل ، أو المفعول ، أو هما معاً) ، فـ﴿ضَاحِكًا﴾في قوله تعالى : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ [سورة النمل من الآية : ١٩] حال من فاعل﴿فَتَبَسَّمَ﴾ المستتر مبين لهيئته ، و﴿مُصَدِّقًا﴾في قوله تعالى ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سورة آل عمران من الآية : ٣] حال من المفعول به﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾مؤكدة له ، و﴿بَغْتَةً﴾ في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[سورة الأنعام من الآية : ٤٤] " مصدر في موضع الحال من الفاعل–الضمير " نا " ، أي :

(١) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : للإمام : جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ص٣١٦ ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، الناشر : الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا ، بدون تاريخ ، وينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : لقاضي القضاة : بهاءالدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري(٢/٢٤٢ ، ٢٤٣) ، تحقيق العلامة : محمد محيى الدين عبد الحميد ، الناشر : دارالتراث – القاهرة ، الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

مباغتين ، أو من المفعولين– الضمير " هم " – أي : مبغوتين " [١].

" ويأتي الحال من المضاف إليه إن كان المضاف بعضه نحو : ﴿لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [سورة الحجرات من الآية : ١٢] ، أَو كبعضه نحو ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [سورة البقرة من الآية : ١٣٥ ، وسورة آل عمران من الآية : ٩٥ ، وسورة النساء من الآية : ١٢٥ ، وسورة الأنعام من الآية ١٦١ ، وسورة النحل من الآية : ١٢٣] ، أَو عاملاً فيها نحو : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾[سورة يونس من الآية : ٤] " [٢]

فـ﴿مَيْتًا﴾حال من ﴿أَخِيهِ﴾ وهومضاف إليه[٣] ، و﴿حَنِيفًا﴾حال من ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾وهومضاف إليه–أيضاً– ، و " ﴿جَمِيعًا﴾حال من الضمير المجرور " كم " لكونه فاعلاً في المعنى ، أي : إليه تعالى رجوعكم مجتمعين لا إلى غيره سبحانه بالبعث " [٤]

(١) التبيان في إعراب القرآن : للعلامة أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ص٤٩٧ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط : عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط سنة١٩٧٦م.

(٢) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ص٣١٦.

(٣) قال العلامة العكبري " الحال من المضاف إليه ضعيف في القياس ، قليل في الاستعمال ؛ وسبب ذلك أن الحال لابد لها من عامل فيها ، والعامل فيها هو العامل في صاحبها ، ولا يصح أن يعمل المضاف في مثل هذا في الحال. التبيان في إعراب القرآن : ص١٢٠.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للعلامة شهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي (٦٤/٦)، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥ هـ.

المبحث الثاني : أوصاف الحال

للحال أربعة أوصاف ، بيانها كالتالي :

الأول : أن تكون نكرة ، وما ورد منها معرفةً فهومؤول بالنكرة.

قال العلامة ابن هشام : "شرط الحال : أن تكون نكرة ، فإن جاءت بلفظ المعرفة وجب تأويلها بنكرة"(١)

وقال العلامة ابن الناظم :

"وقد يجيء الحال معرفًا بالألف واللام ، أو بالإضافة فيحكم بشذوذه ، وتأويله بنكرة، فمن المعرف بالألف واللام قولهم : ادخلوا الأول فالأول ، أي : مرتبين ، ومن المعرف بالإضافة قولهم : جلس زيد وحده : أي : منفردا"(٢)

وقد ذهب فريق من العلماء إلى جواز وقوع الحال معرفة من غير تأويل ، فأجازوا : جاء محمد الضاحك ، بينما ذهب فريق آخر إلى أن الحال إن تضمنت معنى الشرط جاز تعريفها ، وإلا فلا.

فعلى سبيل المثال : أجازوا : محمد المحسن أفضل منه المسي ؛ لأنه تضمن معنى الشرط ، والتقدير : محمد إذا أحسن أفضل منه إذا أساء.

ولم يجيزوا : جاء محمد الضاحك ؛ لأنه لا يتضمن معنى الشرط ، فلا يصح قولنا: جاء محمد إن ضحك.(٣).

---

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى : ص٢٣٥.

(٢) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك : للعلامة : ابن الناظم أبي عبد الله بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك : ص٢٣٠ ، ٢٣١ ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط : دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، وينظر : الكتاب : (كتاب سيبويه) : للعلامة أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه(١١٤/٢) ، تحقيق : د/عبد السلام محمد هارون ، ط : مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨ م ، و شرح ابن عقيل(٢٤٩/٢).

(٣) ينظر : شرح ابن عقيل(٢٥٠/٢ ، ٢٥١) ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : للعلامة الشيخ : محمد بن علي الصبان الشافعي (٢٥٦/٢) ، ط : دارالكتب العلمية بيروت–لبنان ، الطبعة : الأولى ١٤١٧هـ /١٩٩٧م ، وشرح التصريح على التوضيح (٥٨٠/١).

الثاني : أن تكون منتقلةً –في الغالب– لا لازمةً :

ومعنى كونها منتقلة : أنها غير ملازمة لصاحبها ، نحو : جاء محمد ضاحكاً، فـ "ضاحكاً" حال من محمد ، ولا يشترط أن يكون الضحك ملازماً له في كل أحواله ، بل قد ينتقل منه إلى غيره من الأحوال ؛ ومن ثم سميت منتقلة ، بمعنى أنها غير ملازمة لصاحبها في كل أحواله(١).

وقد تقع الحال غير منتقلة ، بمعنى أن تكون ملازمةً لصاحبها لا تنفك عنه ولا تفارقه في ثلاث مسائل(٢) :

"**الأولى** : أن يكون العامل فيها مشعراً بتجدد صاحبها ، نحو : قوله تعالى : ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء من الآية : ٢٨](٣)

الثانية : أن تكون الحال مؤكدة : إما لعاملها نحو قوله تعالى : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾[سورة النمل من الآية : ١٩] (٤) ، وإما مؤكدة لصاحبها ، نحو قوله سبحانه : ﴿لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[سورة يونس من الآية : ٩٩] (٥)، وإما مؤكدة لمضمون جملة قبلها : نحو﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[سورة البقرة من الآية : ٢] (٦).

---

(١) ينظر : شرح ابن عقيل (٢/٢٤٤).

(٢) ذهب بعض النحويين إلى أن الحال لا تأتي إلا منتقلة فقط. ينظر : الأصول في النحو : للإمام أبي بكر محمد بن السري بن سهل الشهير بابن السراج النحوي (١/٢١٣ ، ٢١٤) ، تحقيق : الدكتور/ عبد الحسين الفتلي ، ط : مؤسسة الرسالة ، لبنان – بيروت ، بدون تاريخ.

(٣) قوله تعالى : ﴿ضَعِيفًا﴾ : حال من﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ : وهي حال لازمة ، والعامل فيها الفعل﴿وَخُلِقَ ﴾المشعر بتجدد صاحبها.

(٤) قوله تعالى : ﴿ضَاحِكًا﴾حال من فاعل﴿فَتَبَسَّمَ﴾ المستتر ، وهي مؤكدة لعاملها ﴿فَتَبَسَّمَ﴾لفظاً.

(٥) قوله تعالى﴿جَمِيعًا﴾حال من﴿ مَن ﴾مؤكدة لها.

(٦) قوله تعالى : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حال من ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ ، وهي مؤكدة لمضمون الجملة قبلها.

الثالثـــة : فـــي أمثلـــة مســـموعة لا ضـــابط لهـــا ، كقولـــه جـــل ذكـــره : ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾[سورة آل عمران من الآية : ١٨] " (١)(٢).

الثالث : أن تكون مشتقةً :

الأصل في الحال أن تكون مشتقةً لا جامدة.

وقد تجيء جامدة-على خلاف الأصل- ، وفي هذه الحالة إما أن تؤول بالمشتق- لأنها والحالة هذه يراد بها معنى غير المعنى الحقيقي ؛ ومن ثم وجب تأويلها- ، وإما أن لا تؤول بالمشتق. (٣)

"**الرابع : أن تكون نفس صاحبها في المعنى** : فلذلك جاز : جاء زيدٌ ضاحكاً، وامتنع : جاء زيد ضحكاً : لأن الضحك مصدر ، وزيد ذات ، والمصدر مباين للذات"(٤)

قال العلامة ابن عقيل :

"وقد كثر مجيء الحال مصدراً نكرة ، ولكنه ليس بمقيس ؛ لمجيئه على خلاف الأصل ، ومنه : زيد طلع بغتة ، فبغتة مصدر نكرة ، وهو منصوب على الحال ، والتقدير زيد طلع باغتاً"(٥).

---

(١) قوله تعالى : ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ : حال من اسم الجلالة ، أومن الضمير المنفصل﴿ هُوَ﴾ في قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾[سورة آل عمران من الآية : ١٨].

(٢) شرح ابن عقيل(٢٤٤/٢) ، وينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : (٢٥١/٢ ، ٢٥٢) ، وحاشية الصبان (٢٥٢/٢ ، ٢٥٣) ، وشرح التصريح على التوضيح(٥٧٢/١ ، ٥٧٣).

(٣) ينظر لمعرفة المؤول بالمشتق ، وغير المؤول : أوضح المسالك : (٢٥٤/٢ ، ٢٥٥) ، وشرح ابن عقيل : (٢٤٧/٢) ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني (٢٥٤/٢ ، ٢٥٥) ، وشرح التصريح على التوضيح : (٥٧٦/١ ، ٥٧٧).

(٤) أوضح المسالك : (٢٥٨/٢).

(٥) شرح ابن عقيل(٢٥٣/٢) ، وذهب الأخفش والمبرد إلى أنه منصوب على المصدرية ، والعامل فيه محذوف ، والتقدير : طلع زيد يبغت بغتة ، فالحال عندهما الجملة لا المصدر ، وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب على المصدرية كما ذهبا إليه ، ولكن الناصب له عندهم الفعل المذكور لتأوله بفعل من لفظ المصدر ، فطلع زيد بغتة عندهم في تأويل بغت زيد بغتة. حاشية الصبان (٢٥٧/٢).

المبحث الثالث : صاحب الحال

الأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة ، وإذا ورد منكّراً فلا بد له من مسوغ يسوغ الإتيان به منكرا .

قال ابن الناظم "فأصل صاحب الحال أن يكون معرفة ، كما أن أصل المبتدأ أن يكون معرفة ، وكما جاز أن يبتدأ بالنكرة بشرط وضوح المعنى ، وأمن اللبس ، كذلك يكون صاحب الحال نكرة بشرط وضوح المعنى ، وأمن اللبس، ولا يكون ذلك غالبا إلا بمسوغ"(١).

وقد حصر العلامة ابن عقيل هذه المسوغات فقال :

"حق صاحب الحال أن يكون معرفة ، ولا ينكر في الغالب إلا عند وجود مسوغ ، وهو أحد أمور :

الأول : أن يتقدم الحال على النكرة نحو : فيها قائماً رجل(٢).

الثاني : أن تخصص النكرة بوصف أو بإضافة ، فمثال ما تخصص بوصف قوله تعالى : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾[سورة الدخان الآية : ٤بتمامها ، وجزء من الآية الخامسة] (٣).

ومثال ما تخصص بالإضافة قوله تعالى : ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [سورة فصلت من الآية : ١٠] (٤)

---

(١) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك : ص٢٣٢.

(٢) الذي سوغ مجيء صاحب الحال –رجل – نكرة : هو تقدم الحال–قائماً– عليه.

(٣) "قوله : ﴿أَمْرًا﴾ حال من﴿كُلُّ أَمْرٍ﴾، والأمران مختلفان فى المعنى ، فالأول : واحد الأمور ، والثانى : نقيض النهي ، فالتقدير : مأموراً به من عندنا ، وأقول : إنما حسن مجيء الحال من النكرة فى الآية ؛ لأن قوله : ﴿كُلُّ أَمْرٍ﴾معناه كل الأمور ، كما تقول : جاءنى كل رجل فى الدار ، والمعنى : كل الرجال الذين فى الدار، فلما تضمن هذا المعنى كان حكمه حكم المعرفة". أمالي ابن الشجري : للعلامة/هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة ، المعروف بابن الشجري(٨/٣) ، تحقيق : الدكتور محمود محمد الطناحي ، الناشر : مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩١ م.

(٤) قوله تعالى : ﴿سَوَآءً﴾ حال من ﴿أَرْبَعَةِ﴾ التي تم تخصيصها بالإضافة إلى﴿أَيَّامٍ﴾.

الثالث : أن تقع النكرة بعد نفي أو شبهه ، وشبه النفي هو الاستفهام والنهي، فمثال ما وقع بعد النفي قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾[سورة الحجر الآية : ٤] (١)

ومثال ما وقع بعد الاستفهام قوله : أجاءك رجل ماشياً؟(٢)

ومثال ما وقع بعد النهي : لا يبغ امرؤ على امرئ مستسهلاً (٣)

الرابع : أن تكون الحال جملة مقترنة بالواو ، والسر في ذلك : أن وجود الواو في صدر الجملة يرفع توهم أن هذه الجملة نعت للنكرة ؛ إذ النعت لا يفصل بينه وبين المنعوت بالواو ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾[سورة الحجر الآية : ٤]مسوغان بل ثلاثة ، وهي تقدم النفي ، ووقوع الواو في صدر جملة الحال ، واقتران الجملة بإلا ، وأما قوله تعالى﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [سورة البقرة من الآيــة : ٢٥٩](٤) ، فالمسوغ وقوع الواو في صدر جملة الحال.

الخامس : أن تكون الحال جامدة ، نحو قولك : هذا خاتم حديداً ، والسر في ذلك أن الوصف بالجامد على خلاف الأصل ، فلا يذهب إليه ذاهب"(٥)(٦)

"وقد يجيء الحال من النكرة بلامسوغ ، كقولهم : عليه مائة بيضا"(٧)

---

(١) قوله تعالى : ﴿وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ جملة حالية من﴿قَرۡيَةٍ ﴾ ، والذي سوغ مجيء صاحب الحال نكرة : كونه مسبوقاً بنفي.

(٢) (ماشيا) حال من (رجل) ، والذي سوغ مجيء صاحب الحال نكرة : كونه وقع بعد استفهام.

(٣) مستسهلا : حال من امرئ الأولى ، والذي سوغ مجيء صاحب الحال نكرة كونه وقع بعد نهي.

(٤) قوله تعالى : ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾جملة في موضع نصب على الحال من ﴿قَرۡيَةٖ﴾.

(٥) حديدا : حال من خاتم ، والذي سوغ مجيء صاحب الحال نكرة : كون الحال جامدة.

(٦) شرح ابن عقيل(٢/٢٥٦ ، ٢٦٢) بتصرف ، وينظر : أوضح المسالك(٢/٢٥٩-٢٦٤) ، وشرح قطر الندى ص٢٣٦ ، ٢٣٧ ، وحاشية الصبان : (٢/٢٥٩-٢٦٢).

(٧) أوضح المسالك : (٢/٢٦٥) ، "و"بيضا : جمع أبيض : حال من مائة ، ولا يصح أن يكون تمييزاً ؛ لأن تمييز المائة لا يكون جمعا ، وهذا المثال رواه سيبويه عن العرب ، والمراد أن المائة دراهم لا دنانير ولا غيرها ؛ لأن الدراهم من الفضة وهي بيضاء" أوضح المسالك : (٢/٢٦٥) ، وينظر : الكتاب لسيبويه : (٢/ ١١٢).

ثم إن للحال مع صاحبها ثلاث حالات :

"إحداها : وهي الأصل : أن يجوز فيها أن تتأخر عنه وأن تتقدم عليه ، كـ : "جاء زيد ضاحكاً[١].

الثانية : أن تتأخر عنه وجوباً ، وذلك كأن تكون محصورة نحو : ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[سورة الأنعام من الآية : ٤٨ ، وسورة الكهف من الآية : ٥٦][٢] ، أو يكون صاحبها مجروراً : إما بحرف جر غير زائد ، كـ : مررت بهند جالسة[٣] ، وإما بإضافته ، كـ : أعجبني وجهها مسفرة[٤].

الثالثة : أن تتقدم عليه وجوباً ، كما إذا كان صاحبها محصوراً ، نحو : ما جاء راكباً إلا زيد[٥]"[٦].

---

(١) يجوز تقديم الحال–ضاحكاً–على صاحبها–زيد– ، بأن يقال : جاء ضاحكاً زيد ، ويجوز تأخيرها بأن يقال : جاء زيد ضاحكاً.

(٢) قوله تعالى : ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ حال من﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾عطف على﴿مُبَشِّرِينَ﴾والحال في الجملة القرآنية متأخر وجوباً عن صاحبه ؛ لكونه محصوراً بإلا.

(٣)"منع أكثر النحويين تقدم الحال على صاحبها المجرور بالحرف ، فلا يجيزون في نحو مررت بهند جالسة مررت جالسة بهند ، وعلّلوا منع ذلك بأن تعلق العامل بالحال ثان– تابع– لتعلقه بصاحبه ، فحقه إذا تعدى لصاحبه بواسطة أن يتعدى إليه بتلك الواسطة ، لكن منع من ذلك أن الفعل لا يتعدى بحرف الجر إلى شيئين فجعلوا عوضا من الاشتراك في الواسطة التزام التأخير". حاشية الصبان : (٢/٢٦٢) ، "وخالف في هذه الفارسي وابن جني وابن كيسان فأجازوا التقديم". أوضح المسالك(٢/٢٦٦ ، ٢٦٧).

(٤)"مسفرة : حال من المضاف إليه–الهاء– ، ولا يجوز بإجماع تقديم هذه الحال واقعة بعد المضاف ؛ لئلا يلزم الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، ولا قبله ؛ لأن المضاف إليه مع المضاف كالصلة مع الموصول ، فكما لا يتقدم ما يتعلق بالصلة على الموصول ، كذلك لا يتقدم ما يتعلق بالمضاف إليه على المضاف" . حاشية الصبان : (٢/٢٦٥).

(٥) راكباً : حال وجب تقديمها على صاحبها ؛ لكونه محصوراً بإلا.

(٦) أوضح المسالك : (٢/٢٦٥–٢٧٠) بتصرف ، وينظر : شرح ابن عقيل : (٢٦٣–٢٦٨) ، وشرح شذور الذهب : ص٣٢١.وشرح التصريح على التوضيح(١/٥٨٩–٥٩٣).

المبحث الرابع
أقسام الحال

للحال أقسام متنوعة باعتبارات مختلفة ، **فتنقسم بحسب انتقالها عن صاحبها ولزومها له إلى قسمين : منتقلة، وملازمة**[(١)].

وتنقسم من حيث كونها مقصودةً لذاتها وموطئةً إلى قسمين : مقصودة لذاتها ، وموطئة ، وبيانها كالتالي :

"**المقصودة لذاتها** : وهذا النوع هو الغالب عليها ، ومن أمثلته : سافرت منفرداً ، فـ "منفرداً" حال من التاء في سافرت ، وهي حال مقصودة لذاتها ، من حيث إنها بيان للهيئة التي سافرِ عليها.

والموطّئة : وهي التي تذكر توطئةً لما بعدها وتكون جامدة موصوفة ، كقوله تعالى : ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم من الآية : ١٧]"[(٢)(٣)].

وتنقسم من حيث التبيين والتأكيد إلى قسمين : مبينة -أو مؤسسة- ومؤكدة.

"**فالمؤسسةُ**-وتسمى المبينة أيضاً ؛ لأنها تذكر للتّبيين والتّوضيح- : هي التي لا يستفاد معناها بدونها ، وأكثر ما تأتي الحال من هذا النوع ، ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [سورة الأنعام من الآية : ٤٨ ، وسورة الكهف من الآية : ٥٦]"[(٤)].

---

(١) سبق الحديث عن هذا القسم في المبحث الثاني من البحث.

(٢) قوله تعالى : ﴿بَشَرًا﴾ : حال من فاعل﴿فَتَمَثَّلَ﴾ ، والذي سوغ مجيئه حالاً : وصفه بقوله تعالى : ﴿سَوِيًّا﴾.

(٣) جامع الدروس العربية : للشيخ : مصطفى الغلاييني(١٠٠/٣) ، ط : المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت ، الطبعة : الثامنة والعشرون : ١٤١٤هـ /١٩٩٣ م ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع : للإمام : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٣١٧/٢) ، تحقيق : د/ عبد الحميد هنداوي ، ط : المكتبة التوفيقية – مصر بدون تاريخ.

(٤) قوله تعالى : ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ حال من﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾عطف على﴿مُبَشِّرِينَ﴾ والغرض من الحال والمعطوف : بيان وظيفة الرسل عليهم السلام.

والمؤكدةُ : هي التي يستفاد معناها بدونها"[١].

والجمهور يثبتون الحال المؤكدة ، بخلاف المبرد ، والفراء ، والسهيلي.[٢][٣]

وتنقسم من حيث حصول معناها إلى صاحبها وعدمه إلى قسمين : حَقِيقيَّة ، وسببية :

"**فالحقيقية** : هي التي تبين هيئة صاحبها–وهو الغالب–نحو : جئتُ فَرِحاً ، **والسببية** : هي ما تبين هيئة ما يحمل ضميراً يعود إلى صاحبها ، نحو : ركِبتُ الفرس غائباً صاحبه"[٤] .

وتنقسم بحسب الزمان إلى ثلاثة أقسام : مقارنة ، ومقدرة ، ومحكية ، وبيانها كالتالي :

"**مقَارنَة** وهي : المصاحبة لصاحبها ، أوماقارن زمنها زمن عاملها–وهو الغالب– نحو : ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخٗاۖ﴾ [سورة هود من الآية : ٧٢][٥] ، **ومقدرة**وهي : التي

---

(١) جامع الدروس العربية : (٣/٩٩ ، ١٠٠) ، وشرح التصريح على التوضيح (١/٦٠٥–٦٠٧) ، وشرح ابن عقيل : (٢/٢٧٦ ، ٢٧٧) ، وشرح شذور الذهب : ص٣١٨.

(٢) ينظر : ارتشاف الضرب من لسان العرب : للعلامة : أبي حيان الأندلسي أثير الدين محمد بن يوسف بن علي(٣/١٦٠٠) ، تحقيق وشرح ودراسة : د : رجب عثمان محمد ، مراجعة : د : رمضان عبد التواب ، ط : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٤١٨ هـ/١٩٩٨م ، وقال العلامة المبرد : "وهذا باب إنما يصلحه ويفسده معناه ، فكل ما صلح به المعنى فهو جيد ، وكل ما فسد به المعنى فمردود. المقتضب : للعلامة : أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٤/٣١١) ، تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة ، ط : عالم الكتب. – بيروت بدون تاريخ.

(٣) سبق الحديث عن أنواع الحال المؤكدة في المبحث الثاني من البحث.

(٤) جامع الدروس العربية : (٣/١٠٠) ، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع(٢/٣١٩) ، وفرحاً : حال من التاء في جئت ، وغائباً : حال من صاحبه ، وهي سببية.

(٥)"قوله تعالى : ﴿شَيۡخٗاۖ﴾ : حال ، والعامل : اسم الإشارة". ينظر : البحر المحيط (٧/٣٢١).

تقع في المستقبل نحو : ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[1] [سورة الزمر من الآية : ٧٣][2] ، **ومحكية** وهِي : التي وقعت في الماضي نحو : جاء محمد أمس ضاحكاً"[3][4].

وتنقسم من حيث الإفراد وعدمه إلى مفرد ، وجملة ، وشبه جملة.

فالمفرد : ماليس جملة ولا شبه جملة ، نحو قوله تعالى﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا﴾ [سورة القصص من الآية : ١٨] ، فـ﴿خَآئِفٗا﴾ : حال من فاعل﴿فَخَرَجَ﴾المستتر ، وهو حال مفرد ليس جملة ولا شبه جملة.

"**والحال الجملة** معناه : أَن تقع الجملةُ الفعليةُ ، أو الجملةُ الاسمية موقع الحال ، وحينئذ تكون مؤوَّلة بمفرد ، نحو : جاء سعيدٌ يركض ، والتأويل : جاء راكضاً"[5].

"ويشترطُ في الجملة الحاليّة ثلاثةُ شروط :

"١-أن تكون جملةً خبريةً-تحتمل الصدق والكذب- لا طلبيةً-كالأمر والنهي[6]- ولا تعجُّبية"[7].

---

(١) قوله تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ﴾حال مقدرة ؛ لأن الخلود في الجنة إنما يقع في المستقبل ؛ لأنه يكون في الآخرة.

(٢) ينظر : أمالي ابن الشجري : (١٤/٣).

(٣) ضاحكاً : حال من محمد ، وهو بيان لهيئة مجيء محمد بالأمس من كونه جاء ضاحكاً.

(٤)همع الهوامع في شرح جمع الجوامع(٣١٩/٢) ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه : للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج : (٢١/٥) ، تحقيق : د : عبد الجليل عبده شلبي ، ط : عالم الكتب – بيروت ، الطبعة : الأولى١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، وحاشية الصبان : (٢٨٧/٢ ، ٢٨٨) ، وشرح التصريح على التوضيح (٦٠٤/١).

(٥) جامع الدروس العربية (١٠٠/٣) ، وينظر : أمالي ابن الشجري : (١١/٣).

(٦) قال العلامة الأشموني : "وغلط من قال في قوله : "اطلب ولا تضجر من مطلب"أن لا ناهية والواو للحال ، والصواب أنها عاطفة مثل : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[سورة النساء من الآية : ٣٦]" شرح الأشموني على ألفية ابن مالك(٢٩/٢ ، ٣٠).

(٧) أوضح المسالك : (٢٨٥/٢) ، و جامع الدروس العربية (١٠٠/٣ ، ١٠١).

"٢- أن تكون غير مصدّرة بعلامة استقبال.

٣- أن تشتمل على رابط يربطُها بصاحب الحال ، والرابطُ إما الضمير وحده ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ ﴾ [سورة الأعراف من الآية : ٢٤][(١)] ، وإما الواو فقط ، كقوله سبحانه : ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ ﴾ [سورة يوسف من الآية : ١٤] [(٢)] ، وإما الواو والضمير معاً ، كقوله تعالى : ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٞ ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٢٤٣]" [(٣)][(٤)]

"وواو الحال ما يصحُّ وقوع "إذ" الظرفية موقعها ، فإذا قلت : جئت والشمس تغيب، صحَّ أن تقول : جئت إذ الشمس تغيب ، ولا تدخل إلاّ على الجملة ، فلا تدخل على حال مفردة ، ولا على حال شبه جملة"[(٥)].

"**وهي تنقسم** من حيث اقتران الجملة الحالية بها وعدمه ، إلى ثلاثة أضربٍ : واجب ، وممتنع ، وجائز.

أما عن الضرب الأول فتجب واو الحال في أربع صور :

الأولى : أن تكون جملةُ الحال اسمية مجرَّدة من ضمير يربطُها بصاحبها ، نحو

---

(١) حيث وقعت الجملة ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ في موضع نصب على الحال من الواو في ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ ، والرابط الضمير في ﴿بَعۡضُكُمۡ﴾.

(٢) حيث وقعت الجملة ﴿وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ في موضع نصب على الحال من الضمير العائد على سيدنا يوسف- عليه السلام- في قوله ﴿أَكَلَهُ﴾ ، والرابط الواوفي ﴿وَنَحۡنُ﴾.

(٣) حيث وقعت الجملة ﴿وَهُمۡ أُلُوفٞ﴾ في موضع نصب على الحال من الواو في ﴿خَرَجُواْ﴾ ، والرابط الواو والضمير معا.

(٤) أوضح المسالك : (٢٨٧/٢) ، وجامع الدروس العربية : (١٠٠/٣ ، ١٠١) ، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك(٢٩/٢ ، ٣٠) ، وشرح التصريح على التوضيح (٦٠٨/١-٦١٠).

(٥) جامع الدروس العربية(103/٣) ، وينظر : أمالي ابن الشجري(١١/٣) .

قوله تعالى ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾[سورة يوسف من الآية : ١٤][(١)]

الثانية : أن تكون مصدَّرة بضمير صاحبها ، نحو : قوله تعالى : ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [سورة النساء من الآية : ٤٣][(٢)]

الثالثة : أن تكون ماضية غير مشتملة على ضمير صاحبها ، مثبتةً كانت أو منفيَّة ، غير أنه تجب "قد" مع الواوِ في المثبتة ، نحو : جئت وقد طلعت الشمس، ولا تجوز مع المنفيّة ، نحو : جئت وما طلَعت الشمس"[(٣)].

الرابعة : أن تكون جملة الحال مضارعية وقبلها "قد" ، نحو : ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [سورة الصف من الآية : ٥][(٤)]"[(٥)]

وأما عن الضرب الثاني فتمتنع واو الحال من الجملة في سبع مسائل :

"الأولى : أن تقع جملة الحال بعد عاطف يعطفها على حال قبلها ، كقوله تعالى ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [سورة الأعراف الآية : ٤][(٦)]

---

(١) قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جملة اسمية في محل نصب حال من الضمير : الهاء –المفعول به– في ﴿أَكَلَهُ﴾ ، وقد جاءت مجردة من ضمير يربطها بصاحبها.

(٢) قوله تعالى : ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾جملة اسمية في محل نصب حال من الضمير : الواو –الفاعل– في﴿تَقْرَبُوا۟﴾ وقد صدرت بضمير صاحبها.

(٣) فجملتا الحال : وقد طلعت الشمس ، وما طلعت الشمس غير مشتملتين على رابط يربطهما بصاحبهما وهو : تاء الفاعل في : جئت.

(٤) حيث وقعت الجملة﴿تَعْلَمُونَ﴾المسيوقة بـ"قد" في موضع نصبعلى الحال منالواو في﴿تُؤْذُونَنِى﴾.

(٥) جامع الدروس العربية (١٠٣/٣ –١٠٥) بتصرف ، وينظر : أوضح المسالك(٢٨٧/٢ ، ٢٨٨) ، وحاشية الصبان (٢٨١/٢) ، وشرح التصريح على التوضيح(٦١١/١).

(٦) حيث وقعت الجملة ﴿هُمْ قَآئِلُونَ﴾في موضع نصب على الحال من﴿بَأْسُنَا﴾ ، وهي معطوفة على حال قبلها﴿بَيَٰتًا﴾فيمتنع الربط بواو الحال في الجملة الحالية ؛ لأنها وقعت بعد حرف العطف"أو" ، ولا يمكن الجمع بين واو الحال وحرف العطف ، بأن يقال : "أو وهم قائلون".

الثانية : أن تكون جملة الحال مؤكدة لمضمون جملة قبلها ، كقوله سبحانه﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٢](١)

الثالثة : أن تكون ماضيَّةً بعد "إلا" كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة الحجر الآية : ١١]"(٢)(٣)

"الرابعة : "أن تكون ماضية متلوة بـ "أو" : نحو : لأضربنَّه ذهب أو مكث"(٤)

الخامسة : أن تكون مضارعيةً مثبتةً غير مقترنة بقد كقوله تعالى﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [سورة المدثر الآية : ٦]"(٥)(٦)

"السادسة : أن تكون مضارعيةً منفيةً بـ"ما" ، نحو : عرفتك ما تحب العبث ،

---

(١) حيث وقعت الجملة ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾في موضع نصب على الحال من﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ ، وهي مؤكدة لمضمون الجملة قبلها ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ، فيمتنع الربط بواو الحال في الجملة الحالية ؛ لأن المؤكّد والمؤكد بمنزلة الشيء الواحد فيمتنع العطف بينهما.

(٢) حيث وقعت الجملة﴿كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾في موضع نصب على الحال من الضمير"هم" في﴿ وَمَا يَأْتِيهِم﴾ ، وهي جملة فعلية ماضوية واقعة بعد "إلا" ؛ ومن ثم امتنع ربطها بواو الحال.

(٣) أوضح المسالك : (٢/ ٢٨٨ ، ٢٨٩) ، وجامع الدروس العربية(٣/ ١٠٤ ، ١٠٥)

(٤) حيث وقعت الجملة : (ذهب)في محل نصب على الحال من الهاء في لأضربنه ، وهي جملة فعلية ماضوية مصحوبة بـ"أو" "وتمتنع الواو ؛ لأنها في تقدير فعل الشرط ؛ إذ المعنى : إن ذهب وإن مكث ، وفعل الشرط لا يقترن بالواو ، فكذلك المقدر به. والحق أن العلة عدم وجود الواو في مثل هذا الأسلوب من الكلام العربي" أوضح المسالك : (٢٨٩/٢).

(٥) سورة المدثر الآية : ٦ ، حيث وقعت الجملة الفعلية المضارعية﴿تَسْتَكْثِرُ﴾في موضع نصب على الحال من فاعل﴿تَمْنُن﴾المستتر ، "ولم تقترن بالواو ؛ لأنه يشبه اسم الفاعل في الزنة والمعنى ، والواو لا تدخل اسم الفاعل فكذلك ما أشبهه".شرح التصريح على التوضيح (٦١٣/١).

(٦) جامع الدروس العربية(١٠٥/٣) ، وأوضح المسالك(٢٩١/٢).

وعهدتك ما تسعى للإيذاء"(١)(٢)

"السابعة : أن تكونَ مضارعيةً منفيةً بـ"لا" ، كقوله تعالى﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾[سورة المائدة من الآية : ٨٤]"(٣)(٤)

وأما عن الضرب الثالث : فيجوزُ أن تقترنَ الجملة بواو الحالِ ، وأن لا تقترنَ بها في غير ما تقدَّم من صور وجوبها وامتناعها(٥).

الحال شبه الجملة : "هو أَن يقعِ الظرف أو الجارُّ والمجرور في موقعِ الحال ، وهما يتعلقانِ بمحذوفٍ وجوباً تقديره : مستقرًّا أو استقرَّ ، والمتعلّق المحذوف في الحقيقة هو الحال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ﴾[سورة القصص من الآية : ٧٩]"(٦)(٧)

---

(١) حيث وقعت الجملتان الفعليتان المضارعيتان المنفيتان بـ"ما" (ما تحب العبث)و(ما تسعى للإيذاء) في موضع نصب على الحال من "الكاف" في"عرفتك"و"عهدتك ؛ ومن ثم امتنع ربطهما بواو الحال.

(٢) شرح الأشموني(٣٥/٢) ، وجامع الدروس العربية(١٠٦/٣) ، وأوضح المسالك(٢٩٠/٢).

(٣) حيث وقعت الجملة الفعلية المضارعية﴿نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾في موضع نصب على الحال من الضمير المجرور في﴿لَنَا﴾.

"ولم تقترن بالواو : لأن المضارع المنفي بـ"لا" بمنزلة اسم الفاعل المضاف إليه "غير" ، فجرى مجراه في الاستغناء عن الواو ، ألا ترى أن معناه : ما لنا غير مؤمنين ، فكما لا يقال : ما لنا وغير مؤمنين لا يقال : ما لنا ولا نؤمن". شرح التصريح على التوضيح(٦١٢/١).

(٤) أوضح المسالك : (٢٨٩/٢) ، وجامع الدروس العربية(١٠٦/٣) ، وينظرللاطلاع على جميع المواضع : شرح الأشموني(٣٥/٢) ، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع(٣٢١/٢ ، ٣٢٢) ، وشرح التصريح على التوضيح (٦١١/١-٦١٣).

(٥) جامع الدروس العربية (١٠٣/٣-١٠٧) ، وشرح ابن عقيل : ((٢٧٩/٢-٢٨٣).

(٦) قوله تعالى : ﴿فِى زِينَتِهِۦ ۖ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال ، والتقدير : مفتخراً في زينته.

(٧) جامع الدروس العربية (١٠١/٣).

المبحث الخامس
الدراسة التطبيقية للجملة الحالية الماضوية في سورة البقرة

الموضع الأول : قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٢٠] ، حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بأداة الشرط﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾ حالاً من ﴿ٱلْبَرْقُ﴾ ، أو من ضمير ﴿أَبْصَٰرَهُمْ﴾[(١)] ، والسر في التعبير بها : الدلالة على مدى حرص المنافقين على النجاة بأنفسهم ، فهم إذا صادفوا ومضة من البرق انتهزوها وأسرعوا في خطاهم–يدل على ذلك التعبير بـ﴿كُلَّمَآ﴾المفيدة للعموم– ، وإذا أظلم عليهم وقفوا مكانهم متحيرين.

والغرض من التمثيل : تشبيه حال هؤلاء المنافقين في شكهم في صحة معتقدهم بمشي السائر في ظلام إذا أضاء له البرق ، وتشبيه حالهم إذا تركوا شكهم ورجعوا إلى كفرهم بوقوف السائر إذا انقطع ضوء البرق عنه ، فهم دائماً متخبطون متحيرون ، منحرفون عن طريق الحق ، جاهلون بما يفعلون وما يتركون ، لا يهتدون إلى صواب.

ويجوز أن تكون الجملة الحالية مستأنفة ، كأن سائلاً سأل : ما يفعل المنافقون في حالتي : وميض البرق واختفائه؟ فجاء الجواب : : ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾[(٢)]

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد : للعلامة الشيخ/محمد الطاهر ابن عاشور(٣١٩/١) ، ط : الدار التونسية للنشر والتوزيع ، ط سنة : ١٩٨٤م.

(٢) ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للإمام/ أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(٨٦/١) ط : دار الكتاب العربي – بيروت–الطبعة : الثالثة / ١٤٠٧هـ ، وأنوار التنزيل : للقاضي : ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي(٥٢/١) ، تحقيق : محمد =

قال صاحب التحرير والتنوير –رحمه الله– :

" قوله : ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ تمثيل لحال حيرة المنافقين بحال حيرة السائرين في الليل المظلم المرعد المبرق ، وقوله : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾رجوع إلى وعيد المنافقين الذين هم المقصود من التمثيل ، وعبر عما يحصل للمنافقين من الشك في صحة اعتقادهم بمشي الساري في ظلمة إذا أضاء له البرق ، وعن إقلاعهم عن ذلك الشك حين رجوعهم إلى كفرهم بوقوف الماشي عند انقطاع البرق على طريقة التمثيل.

وذكر ﴿كُلَّمَآ﴾ في جانب الإضاءة و﴿ وَإِذَآ﴾ في جانب الإظلام لدلالة ﴿كُلَّمَآ﴾ على حرصهم على المشي وأنهم يترصدون الإضاءة فلا يفيتون زمناً من أزمان حصولها ليتبينوا الطريق في سيرهم لشدة الظلمة(١).

الموضع الثاني : قوله تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٢٤]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية﴿أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ حالاً من "﴿ٱلنَّارَ﴾ بإضمار "قد" ، أي : معدة لهم ، والسر في التعبير بها : التعريض بأن النار معدة للكفار ابتداء ، وفيه من الدلالة على ذم الكافرين ، والمبالغة في وعيدهم بالعذاب، وكون كفرهم سبباً في دخولهم النار ما لا يخفى.

=عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة : الأولى/ ١٤١٨هـ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي(٥٥/١) الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت–بدون تاريخ ، وروح المعاني(١٧٧/١).

(١) التحرير والتنوير(٣١٩/١-٣٢١) بتصرف عن طريق الحذف.

ويجوز أن تكون جملة الحال مستأنفة ، كأن سائلاً سأل بعد أن وصفت النار بأنها ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ فقال : لمن أعدت؟ فجاء الجواب ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[1]

قال العلامة أبو السعود : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي : هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدةً لعذابهم ، والمراد إما جنس الكفار والمخاطَبون داخلون فيهم دخولاً أولياً ، وإما هم خاصة ، ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم ، وفيه دلالة على أن النار مخلوقةٌ موجودة الآن[2] ، والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب ، وقيل حال بإضمار قَدْ من ﴿ٱلنَّارَ﴾ لا من ضميرها في ﴿وَقُودُهَا﴾ ؛ لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر –﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾– ، وقيل صلةٌ بعد صلة –﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾– أو عطف

(١) ينظر : البحر المحيط في التفسير : للإمام/ أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي(١٧٧/١) ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، ط : دار الفكر – بيروت–ط سنة : ١٤٢٠هـ. قال العلامة الآلوسي : "وجعله حالاً من ﴿ٱلنَّارَ﴾ بإضمار قد ، والخبر من أجزاء الصلة لذي الحال لا من ضمير ﴿وَقُودُهَا﴾ للجمود ، أو لوقوع الفصل بالخبر الأجنبي حينئذ– ليس بشيء ؛ إذ لا يحسن التقييد بهذه الحال إلا أن يقال إنها لازمة بمنزلة الصفة فيفيد المعنى الذي تفيده الصلة. روح المعاني(٢٠١/١).

(٢) قال العلامة ابن عطية : "وفي قوله تعالى : ﴿أُعِدَّتْ﴾ رد على من قال : إن النار لم تخلق حتى الآن ، وذهب بعض المتأولين إلى أن هذه النار المخصصة بالحجارة هي نار الكافرين خاصة ، وأن غيرها هي للعصاة. وقال الجمهور : بل الإشارة إلى جميع النار لا إلى نار مخصوصة ، وإنما ذكر الكافرين ليحصل المخاطبون في الوعيد ؛ إذ فعلهم كفر ، فكأنه قال أعدت لمن فعل فعلكم ، وليس يقتضي ذلك أنه لا يدخلها غيرهم. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز "للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(١٠٨/١)بتصرف عن طريق الحذف ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٢هـ.

على الصلة-﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾- بترك العاطف[1].

الموضع الثالث : قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٥]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بأداة الشرط ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ حالاً من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمعنى أنهم مرزوقون على الدوام ، أو من ﴿جَنَّٰتٍ﴾[2] ، والسر في التعبير بها : الدلالة على أن ثمار الجنة لا تنقطع عن المؤمنين في الجنة ، وأنها متماثلة في المنظر والطعم لا تختلف ثمرة عن أخرى في جمال منظرها ولذة طعمها ، وفيه من الدلالة على مدى النعيم المعد للمؤمنين في الجنة ، وعلى التفاوت التام بين ثمار الجنة وثمار الدنيا من حيث لذة الطعم وجمال المنظر ما لا يخفى.

ويجوز أن تكون الجملة الحالية : -﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ - : صفة ثانية لـ﴿جَنَّٰتٍ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : هي

(١)إرشاد العقل السليم(٦٨/١) بتصرف.

(٢) قال العلامة أبو حيان : "أجاز أبو البقاء أن تكون﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾حالاً من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ تقديره مرزوقين على الدوام ، ولا يتم له ذلك إلا على تقدير أن يكون الحال مقدرة ؛ لأنهم وقت التبشير لم يكونوا مرزوقين على الدوام ، وأجاز- أيضا- أن تكون حالاً من﴿جَنَّٰتٍ﴾ لأنها نكرة قد وصفت بقوله : ﴿تَجْرِى﴾ ، فقربت من المعرفة ، وتؤول أيضا إلى الحال المقدرة. البحر المحيط(١٨٤/١) ، وينظر : روح المعاني(٢٠٥/١).

أي- الجنات-﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ ، أو : هم-أي المؤمنون- ، أو جملة مستأنفة ، كأن سائلاً سأل بعد أن أخبر الله أن للمؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار فقال : هل ثمارها تشبه ثمار الجنات في الدنيا؟ فجاء الجواب﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ (١).

قال العلامة الآلوسي : "وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا ، ويكفي إحساس أفراده ، وهذا كقولك مشيراً إلى نهر جاء : هذا الماء لا ينقطع ، والإخبار عنه بـ ﴿الَّذِي﴾ إلخ على جعله عينه مبالغة، أو تقدير : مثل الذي رزقناه من قبل أي : في الدنيا ، والحكمة في التشابه : أن النفس تميل إلى ما يستطاب وتطلب زيادته ، وهذا مختلف بحسب الأحوال والمقامات ، أو لتبيين المزية وكنه النعمة فيما رزقوه هناك ؛ إذ لو كان جنساً لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك أو في الجنة، والتشابه في الصورة إما مع الاختلاف في الطعم ، أو مع التشابه في الطعم أيضاً ، فلعلهم إذا رأوها على الهيئة الأولى قالوا ذلك ، والداعي لهم لهذا القول فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم.

والمشهور أن كون المراد بالقبلية في الدنيا أولى مما يقدم في الآخرة لأن﴿كُلَّمَا﴾تفيد العموم ولا يتصور قولهم ذلك في أول ما قدم إليهم ، وقيل : كون المراد بها في الآخرة أولى ؛ لئلا يلزم انحصار ثمار الجنة في الأنواع الموجودة في الدنيا مع أن فيها ما علمت وما لم تعلم ، وفي الآية محمل آخر يميل إليه القلب بأن يكون ما رزقوه قبل هو الطاعات والمعارف التي يستلذها أصحاب الفطرة والعقول السليمة ، وهذا جزاء مشابه لها فيما ذكر من اللذة

(١) ينظر : الكشاف(١٠٧/١) ، وإرشاد العقل السليم(٦٩/١) ، والتحرير والتنوير : (٣٥٦/١).

كالجزاء الذي في ضده في قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة العنكبوت من الآية : ٥٥] ، أي جزاءه"(١).

الموضع الرابع : قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[سورة البقرة الآية : ٢٥]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ حالاً من الفاعل في ﴿قَالُواْ﴾بإضمار قد(٢) ، أي : ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ وقد أُتوا﴿بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ ، والسر في التعبير بها : التأكيد لما ذكر في قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ من أن الثمر الذي رزقهم الله إياه في الجنة يشبه بعضه بعضاً في جمال المنظر ولذة الطعم ، أو يشبه ما رزقهم الله إياه في الدنيامن حيث الصورة فقط ، والاختلاف في الطعم ؛ لأن النفوس تميل إلى المألوف وتنفر من غير المألوف ، وفيه من الدلالة على أن هذا الثمر إنما يؤتى إليهم بدون تكلف ما لا يخفى.

ويجوز أن تكون الجملة الحالية مستأنفة ، كأن سائلاً سأل عن صفة هذا الذي رزقوه ، فجاء الجواب ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾.

(١) روح المعاني(١/٢٠٥ ، ٢٠٦).

(٢) قال العلامة الآلوسي : "﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ يحتمل الاستئناف والحالية بتقدير«قد» وهو شائع. روح المعاني(١/٢٠٦).

قال العلامة الرازي –رحمه الله– :

"أما قوله : ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ ففيه سؤالان :

السؤال الأول : إلام يرجع الضمير في قوله : ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ﴾؟ ، الجواب : إن قلنا المشبه به هو رزق الدنيا فإلى الشيء المرزوق في الدنيا والآخرة ، يعني أتوا بذلك النوع متشابهاً يشبه الحاصل منه في الآخرة ما كان حاصلاً منه في الدنيا ، وإن قلنا المشبه به هو رزق الجنة أيضا فإلى الشيء المرزوق في الجنة ، يعني أتوا بذلك النوع في الجنة بحيث يشبه بعضه بعضاً.

السؤال الثاني : كيف موقع قوله : ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ من نظم الكلام؟ والجواب : أن الله تعالى لما حكى عن أهل الجنة ادعاء تشابه الأرزاق في قوله : ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾فالله تعالى صدقهم في تلك الدعوة بقوله : ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾(١)

الموضع الخامس : قوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٨]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ حالاً من الضمير في﴿تَكْفُرُونَ﴾بإضمار قد ، أي : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾وقد كنتم ﴿أَمْوَٰتًا﴾ ، والسر في التعبير بها : تأكيد الإنكار على المشركين في كفرهم بالله ، والتعجب من حالهم المفهوم من قوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ

(١) مفاتيح الغيب : للإمام : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (٣٥٩/٣) ، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة : الثالثة : ١٤٢٠هـ.

﴿بِٱللَّهِ﴾ ؛ إذ كيف يكفرون بالله؟!والأدلة واضحة على وجوده ، ومن أدل الأدلة على ذلك : ماهو معلوم لديهم من أنهم وجدوا بعد العدم ، فقد كانوا أمواتاً معدومين قبل أن يخلقوا ، ثم أحياهم الله ، ثم يميتهم عند انقضاء الآجال ، ثم يحييهم بعد الموت ، ثم إليه يرجعون للحساب والجزاء ، وفيه من الدلالة على أن جهلهم وعدم التأمل في الأدلة سبب في كفرهم وعدم إيمانهم بالله سبحانه وتعالى ما لا يخفى.

قال صاحب الكشاف–رحمه الله– : " والواو في قوله ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ للحال.

فإن قلت : فكيف صح أن يكون حالاً وهو ماض ، ولا يقال جئت وقام الأمير ، ولكن وقد قام ، لا أن يضمر قد؟ قلت : لم تدخل الواو على : ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾وحده ، ولكن على جملة قوله : ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ إلى ﴿تُرْجَعُونَ﴾ ، كأنه قيل : كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتاً نطفاً في أصلاب

آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ، ثم يحييكم بعد الموت ، ثم يحاسبكم.

فإن قلت : بعض القصة ماض وبعضها مستقبل ، والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقعا حالاً حتى يكون فعلاً حاضراً وقت وجود ما هو حال عنه ، فما الحاضر الذي وقع حالا؟ قلت : هو العلم بالقصة ، كأنه قيل : كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها؟

فإن قلت : لم كان العطف الأول بالفاء والإعقاب بثم؟ قلت : لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ ، وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء ، والإحياء

الثاني كذلك متراخ عن الموت– إن أريد به النشور– تراخياً ظاهراً"(١).

وقد ذكر العلامة أبو السعود–رحمه الله– السر في التعبير بالجملة الحالية فقال : "﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ إلى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في﴿تَكْفُرُونَ﴾ مؤكدةٌ للإنكار والاستبعاد بما عُدّد فيها من الشئون العظيمة الداعية إلى الإيمان ، الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعمةً عامةً ، ومن حيث دلالتها على قدرة تامة ، كقوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [سورة نوح الآية : ١٤] ، أي في أي حال ، أو على أي حال تكفُرون به تعالى والحال أنكم كنتم أمواتاً أي أجساماً لا حياة لها ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ بنفخِ الأرواحِ فيكم ، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ أي عند انقضاء آجالكم﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾بالنشور يوم ينفخُ فى الصور أو للسؤال في القبور ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الحشرِ لا إلى غيره ، فيجازيكم بأعمالكم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ، وإليه تنْشرون من قبوركم للحساب"(٢).

الموضع السادس قوله تعالى : "﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة الآية : ٣٤]

حيث وقعت الجمل الفعلية الماضوية﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ حالاً من ﴿إِبْلِيسَ﴾بإضمار قد ، أي : ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾قد﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، والسر في التعبير بها : الدلالة على أن عدم سجود إبليس لآدم –عليه السلام– ، إنما كان رفضاً منه وعصياناً وامتناعاً عما أمر به ، واستكباراً وكفراً ، ولم يكن ناشئاً عن عذر أو تردد.

(١) الكشاف : (١٢١/١ ، ١٢٢) بتصرف عن طريق الحذف.

(٢) إرشاد العقل السليم : (٧٧/١) بتصرف عن طريق الحذف.

ويجوز أن تكون الجمل الحالية الثلاث مستأنفة ، كأن سائلاً سأل : ما فعل إبليس؟ ، فجاء الجواب ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، ويحتمل أن تكون الجملة الأخيرة فقط ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مستأنفة(١).

قال صاحب التحرير والتنوير :

"والإباء : الامتناع من فعل أو تلقيه ، والاستكبار شدة الكبر ، والسين والتاء فيه للعد أي عد نفسه كبيراً مثل : استعظم واستعذب الشراب ، أو يكون السين والتاء للمبالغة مثل استجاب واستقر ، فمعنى استكبر اتصف بالكبر ، والمعنى أنه استكبر على الله بإنكار أن يكون آدم مستحقاً لأن يسجد هو له إنكاراً عن تصميم ، لا عن مراجعة أو استشارة كما دلت عليه آيات أخرى مثل قوله : ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (٢) [سورة الأعراف من الآية : ١٢ ، وسورة ص الآية : ٧٦] ، وبهذا الاعتبار خالف فعل إبليس قول الملائكة حين قالوا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٣٠] ؛ لأن ذلك كان على وجه التوقف في الحكمة ؛ ولذلك قالوا : ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٣٠] (٣)

ثم ذكر –رحمه الله– أقوال المفسرين في المراد من ﴿وَكَانَ﴾ في جملة ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، وبين الوجه المراد فقال : "﴿وَكَانَ﴾ في جملة ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا تفيد إلا أنه اتصف بالكفر في زمن مضى قبل زمن نزول الآية ،

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم(٨٩/١) ، وروح المعاني : (٢٣٢/١).والتحرير والتنوير : (٤٢٤/١).

(٢) سورة الأعراف من الآية : ١٢ ، وسورة ص الآية : ٧٦.

(٣) التحرير والتنوير : (٤٢٤/١) بتصرف عن طريق الحذف.

وليس المعنى أنه اتصف به قبل امتناعه من السجود لآدم ، وقد تحير أكثر المفسرين في بيان معنى الآية من جهة حملهم فعل (كان) على الدلالة على الاتصاف بالكفر فيما مضى عن وقت الامتناع من السجود ، ومن البديهي أنه لم يكن يومئذ فريق يوصف بالكافرين فاحتاجوا أن يتمحلوا-يتكلفوا- بأن إبليس كان من الكافرين أي في علم الله[١] ، وتمحل بعضهم بأن إبليس كان مظهراً الطاعة مبطناً الكفر نفاقاً ، والله مطلع على باطنه ولكنه لم يخبر به الملائكة وجعلوا هذا الاطلاع عليه مما أشار إليه قوله تعالى : ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٣٠] ، وكل ذلك تمحل لا داعي إليه ؛ لما علمت من أن فعل المضي يفيد مضي الفعل قبل وقت التكلم ، وأمثلهم طريقة الذين جعلوا كان بمعنى صار[٢] فإنه استعمال من استعمال فعل كان ، أي صار كافرا بعدم السجود ؛ لأن امتناعه نشأ عن استكباره على الله واعتقاد أن ما أمر به غير جار على حق الحكمة.

والذي أراه أحسن الوجوه في معنى ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أن مقتضى الظاهر أن يقول وكفر كما قال : ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ فعدل عن مقتضى الظاهر إلى﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾لدلالة (كان) في مثل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر في اسمها ، والمعنى : أبى واستكبر وكفر كفراً عميقاً في نفسه" [٣].

الموضع السابع : قوله تعالى : ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٧]

(١) ينظر-على سبيل المثال لا الحصر- : إرشاد العقل السليم : (٨٩/١) ، وروح المعاني : (٢٣٣/١).
(٢) ينظر-على سبيل المثال لا الحصر- : روح المعاني : (٢٣٣/١) ، والبحر المحيط(٢٤٩/١).
(٣) التحرير والتنوير : (٤٢٦/١ ، ٤٢٧) بتصرف عن طريق الحذف.

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بحرف الاستدراك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ حالاً من الضمير في ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ، والسر في التعبير بها : الدلالة على أن القبائح الصادرة عن اليهود من اتخاذهم العجل معبوداً ، ومن قولهم﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [سورة النساء من الآية : ١٥٣] ، وغير ذلك من جحودهم نعم ربهم وكفرهم بها إنما هي في حقيقة الأمر من قبيل ظلمهم لأنفسهم ظلماً لا يتعداهم إلى غيرهم ، وفيه من الدلالة على استمرار ظلمهم وتماديهم عليه ، والتهكم بهم ما لا يخفى.

قال العلامة الآلوسي–رحمه الله– : "﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾عطف على محذوف ، أي فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر ، أو فظلموا بأن كفروا هذه النعم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾بذلك ، ويجوز أن لا يقدر محذوف ؛ لأنه قد صدر منهم ارتكاب قبائح من اتخاذ العجل إلهاً ، وسؤال رؤيته تعالى ظلماً، وغير ذلك ، فجاء قوله تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بجملة منفية تدل على أن ما وقع منهم من تلك القبائح لم يصل إلينا منها نقص ولا ضرر ، وفي هذا دليل على أنه ليس من شرط نفي الشيء عن الشيء إمكان وقوعه ؛ لأن ظلم الإنسان لله تعالى لا يمكن وقوعه البتة ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالكفران ، أو بما فعلوا ؛ إذ لا يتخطاهم ضرره، وتقديم المفعول–﴿أَنفُسَهُمۡ﴾– : للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق ، وفيه ضرب تهكم بهم ، والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل – ﴿كَانُوٓاْ﴾ ، ﴿يَظۡلِمُونَ﴾– للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم عليه ، وفي ذكر ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾ بجمع القلة : تحقير لهم وتقليل ، والنفس العاصية أقل من كل قليل"(١).

(١) روح المعاني : (٢٦٥/١).

الموضع الثامن : قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة البقرة الآية : ٧١]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بحرف النفي والواو ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ حالاً من فاعل ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ ، والسر في التعبير بها : التعريض بعدم مبادرة اليهود إلى امتثال ما أُمروا به ؛ إذ إنهم لما أمروا بذبح البقرة استثقلوا الأمر واستصعبوه ، ثم ذبحوها بعد أن أوشكوا ألا يذبحوها ؛ بسبب تعنتهم وكثرة مجادلتهم ، أوخوفاً من الفضيحة ، أو بسبب غلاء ثمنها ، حتى لكأنهم فعلوا ذلك مضطرين ، أو مجبورين.

قال العلامة أبو السعود :

"﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ الجملةُ حال من ضمير ذبحوا ، أي فذبحوها والحال أنهم كانُوا قَبلَ ذَلكَ بمعزل منه ، أو اعتراض تذييلي ومآلُه استثقال استعصائهم ، واستبطاء لهم ، وأنهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط إسهابهم فيها ، قيل مضى من أول الأمرِ إلى الامتثال أربعون سنة ، وقيل ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ ذلك لغلاء ثمنها"(١).

وقال العلامة الطاهر ابن عاشور : " وقوله : ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ تعريض بهم بذكر حال من سوء تلقيهم الشريعة ، تارة بالإعراض والتفريط ، وتارة بكثرة التوقف والإفراط ، وفيه تعليم للمسلمين بأصول التفقه في الشريعة ، والأخذ

(١) إرشاد العقل السليم(١/١١٣).

بالأوصاف المؤثرة في معنى التشريع دون الأوصاف الطردية[1].

الموضع التاسع : قوله تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة الآية : ٧٥]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بـ"قد" والواو ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ حالاً من الفاعل في ﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ ، والسر في التعبير بها : الإنكار على المؤمنين الذين يطمعون في إيمان اليهود المعاصرين لهم ، والحال أن طائفة من أسلافهم وهم علماؤهم وأحبارهم كانوا ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ، وفي هذا من الدلالة على قبح حالهم ، وفساد أعمالهم ما لا يخفى ؛ إذ كانوا يحرفون كلام الله عن تعمد وعلم ، وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون ، وإذا كان هذا حال علمائهم وأحبارهم فما بالك بغيرهم؟!

قال صاحب البحر المحيط : "والواو في قوله : ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ ، وفي قوله : ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ واو الحال ، ويحتمل أن يكون العامل في الحال قوله : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ ، ويحتمل أن يكون : ﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ ، فعلى الأول يكون المعنى : أفيكون منكم طمع في إيمان اليهود؟ وأسلافهم من عادتهم تحريف كلام الله ، وهم سالكو سننهم ومتبعوهم في تضليلهم ، فيكون الحال قيداً في الطمع المستبعد ، أي يستبعد الطمع في إيمان هؤلاء وصفتهم هذه ، وعلى الثاني يكون

(١) التحرير والتنوير (٥٥٦/١).

المعنى : استبعاد الطمع في أن يقع من هؤلاء إيمان ، وقد كان أسلافهم على ما نص من تحريف كلام الله تعالى ، فعلى هذا يكون الحال قيداً في إيمانهم ، وعلى كلا التقديرين ، فكل منهما أعني من : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ ، ومن : ﴿يُؤْمِنُواْ﴾ مقيد بهذه الحال من حيث المعنى ، وإنما الذي ذكرناه تقتضيه صناعة الإعراب ، وبيان التقييد من حيث المعنى أنك إذا قلت أتطمع أن يتبعك زيد؟ وهو متبع طريقة أبيه ، فاستبعاد الطمع مقيد بهذه الحال ، ومتعلق الطمع الذي هو : الاتباع المفروض وقوعه مقيد بهذه الحال ، فمحصوله : أن وجود هذه الحال لا يجامع الاتباع ، ولا يناسب الطمع ، بل إنما كان يناسب الطمع ويتوقع الاتباع مع انتفاء هذه الحال ، وأما العامل في قوله : ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فقوله : ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي يقع التحريف منهم بعد تعقّله وتفهمه ، عالمين بما في تحريفه من شديد العقاب ، ومع ذلك فهم يقْدمون على ذلك ، ويجترئون عليه ، والإنكار على العالم أشد من الإنكار على الجاهل ؛ لأن عند العالم دواعي الطاعة لما علم من ثوابها ، وتواني المعصية لما علم من عقابها"(١)

وقال العلامة أبو السعود : "﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ الجملة حاليةٌ مؤكّدة للإنكار حاسمةٌ لمادة الطمع ، أي والحال أن طائفةً منهم كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلّم موسى عليه السلام بالطور وما أُمر به ونهي عنه ، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ عن مواضعه لا لقصورِ فهمهم عن الإحاطة بتفاصيله ، بل ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام ربِ العزةِ رِيبةٌ أصلاً ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾جملةٌ

(١) البحر المحيط(٤٣٩/١ ، ٤٤٠).

حاليةٌ من فاعل ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ مفيدةٌ لكمال قباحة حالهم ، مؤذنةٌ بأن تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه ، أو على الخطأ في بعض مقدماته ، بل كان ذلك حال كونهم عالمين مستحضرين له ، أو ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون ومفترون"[1]

الموضع العاشر: قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة الآية : ٨٩]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بالواو ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ حالاً من الضمير في ﴿جَآءَهُمْ﴾ ، والسر في التعبير بها : بيان حال اليهود قبل بعثة النبي(ﷺ) ؛ إذكانوا قبل مجيئه(ﷺ) يستنصرون به على أعدائهم ، فلما جاءهم النبي(ﷺ) ومعه الكتاب المنزل عليه وهو القرآن المصدق لما معهم من التوراة فيما يتعلق بصفته(ﷺ) وبعثته كفروا به ، وفي هذا من الدلالة على جحودهم للحق ، وكراهيتهم له ، ومكابرتهم وعنادهم وتعنتهم ما لا يخفى.

ويجوز أن تكون الواو في قوله تعالى : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ حرف عطف ، والمعطوف عليه : ﴿جَآءَهُمْ﴾ ، أوجواب ﴿وَلَمَّا﴾ المحذوف ، والتقدير : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ كذّبوا

(١) إرشاد العقل السليم : (١/ ١١٦ ، ١١٧) بتصرف.

به﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (١)

قال العلامة الطاهر ابن عاشور :

"وجملة : ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ في موضع الحال ، وفائدتها هنا : استحضار حالتهم العجيبة ، وهي : أنهم كذبوا بالكتاب والرسول في حال ترقبهم لمجيئه وانتظار النصر به(٢) ، وهذا منتهى الخذلان والبهتان"(٣)

وقال العلامة أبو السعود : "

"﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ : الجملة حاليةٌ مفيدةٌ لكمال مكابرتِهم وعنادهم"(٤)

الموضع الحادي عشر : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة الآية : ٩٣]

---

(١) ينظر : البحر المحيط(٤٨٦/١).

(٢) قال العلامة ابن إسحاق : حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني أشياخ منا قالوا : لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا ، كان معنا يهود ، وكانوا أهل كتاب ، وكنا أصحاب وثن ، فكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا : إن نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه نتبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله اتبعناه وكفروا به ، ففينا والله وفيهم أنزل الله عز وجل﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.سيرة ابن إسحاق : للعلامة : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء ، المدني : ص٨٤ ، تحقيق : سهيل زكار ، ط : دار الفكر – بيروت ، الطبعة : الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

(٣) التحرير والتنوير(٦٠٢/١).

(٤) إرشاد العقل السليم : (١/ ١٢٨) بتصرف.

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بالواو ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ حالاً من الضمير في ﴿أَخَذْنَا﴾ ، والسر في التعبير بها : تذكير لليهود المعاصرين للنبي (ﷺ)بما حدث مع أسلافهم من أخذ الميثاق عليهم بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأن يعملوا بما في التوراة من أوامر ، ويجتنبوا ما فيها من نواه ، فأبوا فرفع الله فوقهم جبل الطور ؛ ليريهم آية من آياته الكبرى ، وليقبلوا الميثاق عن اقتناع وليس عن إكراه ، ولكنهم قابلوا ذلك بالعصيان والإنكار، وفي هذا من التهديد لليهود المعاصرين للنبي(ﷺ) مافيه ، وفيه من الدلالة على أن ديدنهم في الجحود والإعراض والعناد لا يتغير ، فمثل ما فعله الأسلاف مع سيدنا موسى–عليه السلام– يفعله المعاصرون مع النبي(ﷺ) .وفيه– أيضاً– من التوبيخ لهم على كذبهم مافيه.

ويجوز أن تكون الواو في﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾حرف عطف ، والمعطوف عليه﴿أَخَذْنَا﴾ (١)

قال العلامة أبو السعود : " ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ : توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الإيمان بما أنزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بكذبهم ، أي : واذكروا حين أخذنا ميثاقكم ، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ : قائلين﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ﴾ أي : خذوا بما أُمرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول ، ﴿قَالُواْ﴾ استئناف مبني على سؤال سائل كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ، ﴿سَمِعْنَا﴾قولك ، ﴿وَعَصَيْنَا﴾أمرك ، فإذا قابل أسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء

(١) ينظر : روح المعاني(٢٨١/١).

وكفروا بما في تضاعيف التوبة ، فكيف يتصور من أخلافهم الإيمان بما فيها؟"(١)

الموضع الثاني عشر : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة الآية : ٩٣]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بالواو ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ حالاً من الضمير في ﴿قَالُوا۟﴾ أي : ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ وقد (أُشْرِبوا) ، والسر في التعبير بها : الدلالة على أن حب عبادة العجل قد خالط قلوب اليهود ، ورسخ فيها واستقر كما يتغلغل الماء في أعماق البدن ، حتى لكأنهم أشربوا العجل ، وفي هذا من الدلالة على مدى جحودهم وكفرهم بالله مافيه.

ويجوز أن تكون الواو في قوله تعالى : ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ : للعطف ، والمعطوف عليه ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ ، والتقدير : ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟﴾ قلتم ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ وأشربتم حب عبادة العجل ، كما يحتمل أن تكون الجملة الحالية مستأنفة ، على أنها من قبيل إخبار الله عن اليهود بما فعلوه من عبادة العجل(٢).

قال صاحب إرشاد العقل السليم : "﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للمبالغة أي تداخلهم حبُّه ورسخ في قلوبهمَ صورته ؛ لفرطَ شغفهم بهَ وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ

(١) إرشاد العقل السليم : (١/ ١٣١) بتصرف.

(٢) ينظر : البحر المحيط : (٤٩٤/١) ، وروح المعاني : (٣٢٦/١) ، والتبيان في إعراب القرآن : ص٩٤.

الثوب والشراب أعماق البدن ، و﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ بيانٌ لمكان الإشراب كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [سورة النساء من الآية : ١٠]، والجملةُ حال من ضمير ﴿قَالُوا﴾ بتقديم قد"(١)

الموضع الثالث عشر: قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة البقرة الآية : ١١٨]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ حالاً من الموصول في ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾و ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، والسر في التعبير بها : الدلالة على تشابه قلوب جهلة مشركي العرب مع من تقدمهم–من : اليهود والنصارى ، أو : الأمم المكذبة– في الكفر والضلال ، والتعنت والعناد ، والعتو والجحود ، والفسوق والطغيان ، فهذا ديدن المشركين الموصوفين في الآية الكريمة بقوله تعالي : ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، يدل على ذلك مواضع كثيرة في القرآن الكريم ، من ذلك : قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [سورة الإسراء الآيات : ٩٠-٩٣]، وقولهم : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ

(١) إرشاد العقل السليم : (١٣١/١) ، وينظر : روح المعاني : (٣٢٦/١) ، والبحر المحيط(٤٩٤/١) ، والتحرير والتنوير : (٦١١/١).

عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [سورة الفرقان الآية : ٢١] كذلك الحال بالنسبة لـ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ حيث ورد عنهم في القرآن مطالب كثيرة تدل على عتوهم واستكبارهم ، من ذلك : قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [سورة النساء الآية : ١٥٣]، وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١١٢]

ويجوز أن تكون الجملة الحالية مقررة لما قبلها من حيث : الدلالة على أن اتحاد المقالتين إنما هو صادر من تشابه قلوب الذين لا يعلمون والذين من قلبهم في الهوى ، والجهل ، وخفة العقل(١).

قال العلامة أبو حيان : " ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ إن فسر الموصول في ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ بكفار العرب أو مشركي مكة فـ ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ هم : الأمم المكذبة من أسلافهم وغيرهم ، وإن فسر باليهود أو النصارى فـ ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ : أسلافهم" (٢)

وقال العلامة البيضاوي : "﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد ، وفيه إشارة إلى أنهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات أو لطلب

(١) ينظر : روح المعاني(٣٦٨/١) ، والتحرير والتنوير(٦٩٠/١).
(٢) البحر المحيط(٥٨٧/١).

مزيد اليقين ، وإنما قالوه عتواً وعناداً"[1].

الموضع الرابع عشر: قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٣٥]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بـ ﴿مَا﴾ النافية ، والواو ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ : حالاً من ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ ، والسر في التعبير بها : التعريض بأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يدعون اتباع سيدنا إبراهيم- عليه السلام ، والحال أنهم مشركون ، فقد حكى القرآن عنهم : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة التوبة الآية : ٣٠]

وفيه من الدلالة على مخالفتهم لملة سيدنا إبراهيم –عليه السلام- ، وعلى أن الخير في اتباع ملته ما لا يخفى.

ويجوز أن تكون الواو في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ للعطف، والمعطوف عليه : ﴿حَنِيفًا﴾.

قال العلامة الآلوسي : "﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾حال من المضاف إليه- ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾-لا من المضاف ﴿مِلَّةَ﴾- إلا أن يقدر : "وما كان دين المشركين" وهو تكلف ، والمقصود التعريض بأهل الكتاب والعرب الذين يدعون اتباعه ، ويدينون بشرائع مخصوصة به من حج البيت والختان وغيرهما ، فإن في كل

(١) أنوار التنزيل : (١٠٣/١).

طائفة منهم شركاء ، فاليهود قالوا : ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ والنصارى ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، والعرب عبدوا الأصنام وقالوا : الملائكة بنات الله"(١)(٢)

الموضع الخامس عشر قوله تعالى : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٦٦]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المقترنة بالواو ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ حالاً من ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ ، و ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ والتقدير : تبرأ كل فريق من الآخر حال رؤيتهم العذاب ، والسر في التعبير بها : الدلالة على أن المتبوعين على الكفر والإشراك بالله يتبرءون من أتباعهم الذين كانوا يتبعونهم حال معاينتهم العذاب ، وانقطاع الأسباب الدالة على أن لا نجاة لهم من عذاب الله.

ويجوز أن تكون الجملة الحالية : ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ قد عطفت على جملة ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ (٣)

قال العلامة الآلوسي : " ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ حال من الأتباع والمتبوعين ، كما في لقيته راكبين– أي رائين له– فالواو– : للحال ، وقد مضمرة"(٤)

---

(١) كما في قوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة النحل الآية : ٥٧].

(٢) روح المعاني : (٣٩٢/١)،وينظر : مفاتيح الغيب(٧١/٤) ، وأنوار التنزيل(١٠٨/١) ، والبحر المحيط(٦٤٧/١) ، وإرشاد العقل السليم(١٦٦/١) ، والتحرير والتنوير (٧٣٧/١).

(٣) قال العلامة أبوحيان : "﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾الظاهرأن هذه الجملة ، هي وما بعدها–﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾– ، قد عطفتا على﴿تَبَرَّأَ﴾ ، فهما داخلان في حيز الظرف–﴿إِذْ﴾– ، وقيل : الواو للحال فيهما ، والعامل ﴿تَبَرَّأَ﴾ ، أي تبرءوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطُّع الأسباب بهم ؛ لأنها حالة يزداد فيها الخوف والتنصل ممن كان سبباً في العذاب ، وقيل : الواو للحال في : ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ ، وللعطف في : ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾على﴿تَبَرَّأَ﴾. البحر المحيط(٩١/٢) ، وينظر : التبيان في إعراب القرآن : ص١٣٧.

(٤) روح المعاني(٤٣٣/١).

وقال العلامة الطاهر ابن عاشور : " ﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾حالية : أي تبرءوا في حال رؤيتهم العذاب ، ومعنى رؤيتهم إياه : أنهم رأوا أسبابه وعلموا أنه أعد لمن أضل الناس ، فجعلوا يتباعدون من أتباعهم ؛ لئلا يحق عليهم عذاب المضللين ، فموقع الحال هنا حسن جداً ، وهي مغنية عن الاستئناف الذي يقتضيه المقام ؛ لأن السامع يتساءل عن موجب هذا التبرؤ فإنه غريب ، فيقال رأوا العذاب ، فلما أريد تصوير الحال وتهويل الاستفظاع عدل عن الاستئناف إلى الحال ؛ قضاء لحق التهويل واكتفاء بالحال عن الاستئناف ؛ لأن موقعهما متقارب، ولا تكون معطوفة على جملة﴿تَبَرَّأَ﴾ لأن معناها حينئذ يصير إعادة لمعنى جملة : ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾[سورة البقرة من الآية : ١٦٥] ، فتصير مجرد تأكيد لها ، ويفوت ما ذكرناه من الخصوصيات ، وضمير﴿وَرَأَوُاْ﴾ ضمير مبهم عائد إلى فريقي ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ ، و﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾[1].

الموضع السادس عشر : قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٧٠]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بهمزة الاستفهام ، واو

(١) التحرير والتنوير(٩٧/٢) ، وينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للإمام : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٨٨/٣) ، تحقيق : الشيخ : أحمد محمد شاكر ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، والكشاف(٢١٢/١) ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل(١١٨/١) ، وإرشاد العقل السليم(١٨٧/١) ، وروح المعاني(٤٣٣/١).

الحال، و"لو" ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ حالاً من الضمير في ﴿قَالُوا۟﴾ ، والسر في التعبير بها : الرد على هؤلاء الذين اتبعوا خطوات الشيطان في قولهم : ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ ، والإنكار عليهم في اتباعهم وتقليدهم آباءهم فيما هم عليه من الكفر والضلال ، والحال أن آباءهم بمعزل عن العقل والهداية.

ويجوز أن تكون "الواو" في قوله تعالى : ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾"لعطف جملة كلام على جملة ؛ لأن غاية الفساد في الالتزام أن يقولوا نتبع آباءنا ولو كانوا لا يعقلون"(١)

قال العلامة الآلوسي : "﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾جواب الشرط محذوف ، أي : لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتبعوهم ، والواو للحال أو للعطف ، والجملة الشرطية : إما حال عن ضمير ﴿قَالُوا۟﴾ أو معطوفة عليه ، والهمزة لإنكار مضمون تلك الجملة وهو التزامهم الاتباع على تقدير ينافيه وهو كونهم غير عاقلين ولا مهتدين المستلزم لالتزامهم الاتباع على أي حال كانوا من غير تمييز ، وعلم بكونهم محقين أو مبطلين ، وهو التقليد المذموم ، ويتولد من ذلك الإنكار التعجيب ، وجوز أن تكون الجملة حالاً عن ضمير جملة محذوفة ، أي : أيتبعونهم في حال فرضهم غير عاقلين ولا مهتدين ، وأن تكون معطوفة على شرط مقدر أي : يتبعونهم لو لم يكونوا غير عاقلين ، ولو كانوا غير عاقلين ، وفي الآية دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر ، وأما اتباع الغير في الدين بعد العلم بدليل

(١) المحرر الوجيز(٢٣٨/١) ، وينظر : البحر المحيط (١٠٣/٢) ، والتحرير والتنوير(١٠٨/٢).

ما إنه محق فاتباع في الحقيقة لما أنزل الله تعالى ، وليس من التقليد المذموم في شيء ، وقد قال سبحانه : ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[سورة النحل من الآية : ٤٣ ، وسورة الأنبياءمن الآية : ٧]"(١)

الموضع السابع عشر قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢١٤]، حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ حالاً من الضمير الفاعل في ﴿خَلَوْاْ﴾ بتقدير قد ، والسر في التعبير بها : بيان ما أصاب الأمم السابقة من صنوف الأذى ، والآلام ، وأنواع البلاء ، والأمراض ، والشدائد ، والأسقام ، والأوجاع حتى استبطؤوا نصر الله ، إلا أنهم مع ذلك لم يضعف إيمانهم ، ولم تفتر عزيمتهم ، وفي هذا من الدلالة على عظم ما أصابهم وشدته ما لا يخفى ، وفيه–أيضا–إشارة إلى أنه يجب على المؤمنين في كل زمان ومكان التحلّي بالصبر ، والتأسي بمن سبقهم من صالحي الأمم الماضية.

ويجوز أن تكون جملة الحال تفسيرية– تفسر المثل وتنبينه– ، أو استئنافية ، كأن سائلاً سأل : ما هذا المثل؟ ، فجاء الجواب : ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾(٢)

قال صاحب التحرير والتنوير : "﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ الواو للحال ، أي : أحسبتم دخول الجنة في حالة انتفاء

(١) روح المعاني(٤٣٨/١) بتصرف عن طريق الحذف ، وينظر : الكشاف(٢١٣/١) ، والجامع لأحكام القرآن(٢١١/٢) ، وإرشاد العقل السليم (١٨٨/١) ، والتحرير والتنوير(١٠٦/٢ ، ١٠٧).

(٢) ينظر : البحر المحيط : (٣٧٣/٢) ، والتبيان في إعراب القرآن : ص١٧١.

ما يترقب حصوله لكم من مس البأساء والضراء ، فإنكم لا تدخلون الجنة ذلك الدخول السالم من المحنة إلا إذا تحملتم ما هو من ذلك القبيل.

و ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾ هم الأمم الذين مضوا وانقرضوا ، وأصل ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾ خلا منهم المكان ، فبولغ في إسناد الفعل فأسند إليهم ما هو من صفات مكانهم.

والمس حقيقته : اتصال الجسم بجسم آخر ، وهو مجاز في إصابة الشيء وحلوله ، وأكثر ما يطلق في إصابة الشر ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ [سورة فصلت من الآية : ٥١] ، فالمعنى هنا : حلت بهم البأساء والضراء" (١)

الموضع الثامن عشر قوله تعالى : : ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٢٢١]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بـ الواو و "لو" ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ حالاً من ﴿مُّشۡرِكَةٖ﴾ أي : ﴿وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ﴾ حال كونها قد أعجبتكم ، والسر في التعبير بالجملة الفعلية الماضوية : تعليل للنهي عن زواج المؤمن من المشركة التي تشرك مع الله غيره ، وأن التزوج من أمة مؤمنة خير من التزوج من حرة مشركة ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ لحسبها ونسبها ومالها وجاهها ؛ لأن المنافع الدينية يجب تقديمها على المنافع الدنيوية.

"والمعنى : أن المشركة وإن كانت فائقة في الجمال والمال والنسب فالأمة المؤمنة خير منها ؛ لأن ما فاقت به المشركة يتعلق بالدنيا ، والإيمان يتعلق

(١) التحرير والتنوير (٣٦١/٢ ، ٣٦٢) بتصرف عن طريق الحذف ، وينظر : الكشاف(٢٥٦/١ ، ٢٥٧) ، والبحر المحيط (٤١٨/٢) ، وأنوار التنزيل : (١٣٩/١) ، وإرشاد العقل السليم(٢٢١/١).

بالآخرة ، والآخرة خير من الدنيا ، فبالتوافق في الدين تكمل المحبة ، ومنافع الدنيا من الصحبة والطاعة وحفظ الأموال والأولاد ، وبالتباين في الدين لا تحصل المحبة ولا شيء من منافع الدنيا"[١]

ويجوز أن تكون الواو في جملة الحال-﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾-" للعطف على حال محذوفة ، والتقدير : خير من مشركة على كل حال ، ولو في هذه الحال" [٢]

قال صاحب التحرير والتنوير : " قوله : ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾تنبيه على دناءة المشركات ، وتحذير من تزوجهن ، ومن الاغترار بما يكون للمشركة من حسب أو جمال أو مال ، وهذه طرائق الإعجاب في المرأة المبالغ عليه بقوله : ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ ، وإن من لم يستطع تزوج حرة مؤمنة فليتزوج أمة مؤمنة خير له من أن يتزوج حرة مشركة ، فالأمة هنا هي المملوكة ، والمشركة : الحرة بقرينة المقابلة بقوله﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾فالكلام وارد مورد التناهي في تفضيل أقل أفراد هذا الصنف على أتم أفراد الصنف الآخر ، فإذا كانت الأمة المؤمنة خيراً من كل مشركة ، فالحرة المؤمنة خير من المشركة ، ولظهور أنه لا معنى لتفضيل الأمة المؤمنة على الأمة المشركة ، ولقوله : ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾فإن الإعجاب بالحرائر دون الإماء.

والمقصود من التفضيل في قوله : ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾التفضيل في المنافع الحاصلة من المرأتين ، فإن في تزوج الأمة

(١) البحر المحيط(٤١٨/٢).

(٢) ينظر : المصدر السابق نفسه.

المؤمنة منافع دينية ، وفي الحرة المشركة منافع دنيوية ، ومعاني الدين خير من أعراض الدنيا المنافية للدين"(١)

الموضع التاسع عشر : قوله تعالى : ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٢٢١]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بـ الواو و "لو"﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ حالاً من ﴿مُّشْرِكٍ﴾ أي : ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾حال كونه قد أعجبكم ، والسر في التعبير بالجملة الفعلية الماضوية : النهي عن تزويج المؤمنات من الكفار ، وأن تزويج المؤمنة من عبد مؤمن خير من تزويجها من مشرك﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لحسبه ونسبه وماله وجاهه ؛ لأن المنافع الدينية يجب تقديمها على المنافع الدنيوية.

ويجوز أن تكون الواو في جملة الحال–﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ – للعطف على حال محذوفة ، على غرار ما ذكر في الموضع السابق في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾(٢)

قال العلامة أبو السعود : "﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من الإنكاح ، والمراد بهم : الكفار على الإطلاق ؛ أي : لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر أو إماء ، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ويتركوا ماهم فيه من الكفر ، ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾ مع ما به من ذل المملوكية ، ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ مع ما له من عز المالكية ،

(١) التحرير والتنوير(٢/٣٦١ ، ٣٦٢) بتصرف عن طريق الحذف ، وينظر : الكشاف(١/٢٥٦ ، ٢٦٤) ، والبحر المحيط (٢/٤١٨) ، وأنوار التنزيل : (١/١٣٩) ، وإرشاد العقل السليم(١/٢٢١).

(٢) ينظر : البحر المحيط(٢/٤١٩).

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ مما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة إلى ذاته وصفاته"[1]

الموضع العشرون قوله تعالى : ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[سورة البقرة الآية : ٢٣٧]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بـ"قد" و" الواو"﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ حالاً من الفاعل أو المفعول في ﴿طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ ، والمعنى : ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ حال كونكم قد سمَّيتم لهن المهر، أو حالة كونهن مسمًّى لهن المهر ، والسر في التعبير بها : بيان حكم المطلقة قبل الدخول التي سمي لها المهر بقوله﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ بأن لها نصف المهر.

قال العلامة أبوالسعود :

"﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ﴾ قبل ذلك ﴿فَرِيضَةً﴾ ، أي : وإن طلقتموهن من قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق أي عند النكاح مهراً ، على أنَّ الجملةَ حال من فاعل ﴿طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ ، ويجوزُ أن تكون حالاً من مفعوله ، ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي فلهن نصف ماسميتم لهن من المهر ، أو فالواجب عليكم ذلك"[2]

(١) إرشاد العقل السليم(٢٢١/١) ، وينظر : الكشاف(٢٦٤/١) ، والبحر المحيط(٤١٨/٢) ، وأنوار التنزيل : (١٣٩/١) ، والتحرير والتنوير(٣٦١/٢ ، ٣٦٢).

(٢) إرشاد العقل السليم(٢٣٤/١) بتصرف ، وينظر : البحر المحيط(٢/ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥).

الموضع الحادي والعشرون قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [سورة البقرة من الآية : ٢٤٦]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بـ"قد" و" الواو"﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ حالاً من الفاعل في ﴿نُقَٰتِلَ﴾ ، والسر في التعبير بها : التعليل لوجه التعجب والإنكار من عدم قتالهم في قولهم ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ، وبيان أنهم مستعدون للقتال متهيئون له ، لا سيما مع توافر أسبابه وبواعثه من كونهم قد أخرجوا من ديارهم ، وابتعدوا عن أبنائهم.

قال العلامة الآلوسي : "

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ في موضع الحال ، والعامل﴿نُقَٰتِلَ﴾ ، والغرض : الإخبار بأنهم يقاتلون لا محالة ؛ إذ قد عرض لهم ما يوجب المقاتلة إيجاباً قوياً وهو : الإخراج عن الأوطان ، والاغتراب من الأهل والأولاد ، وإفراد الأبناء بالذكر : لمزيد تقوية أسباب القتال وهو معطوف على الديار "[1].

الموضع الثاني والعشرون قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ

(١) روح المعاني(٥٥٧/١) ، وينظر : أنوار التنزيل(١٥٠/١) ، والبحر المحيط(٥٧٠/٢) ، وإرشاد العقل السليم(٢٣٩/١) ، والتحرير والتنوير(٤٨٧/٢).

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٥٥]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ حالاً من اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾، والسر في التعبير بها : التقريرلما تضمنته الآية الكريمة من صفات الله العظيمة الدالة على عظمته –سبحانه– وقدرته، وكبريائه ، وشمول علمه ، وسعة ملكه ، وكمال سلطانه.

ويجوز أن تكون جملة الحال خبراً عن اسم الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾ (١)

قال العلامة الطاهر ابن عاشور : "وقوله : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ : تقرير لما تضمنته الجمل كلها من عظمة الله تعالى وكبريائه ، وعلمه وقدرته ، وبيان عظمة مخلوقاته المستلزمة عظمة شأنه ، أو لبيان سعة ملكه"(٢).

"والكرسي : ما يجلَس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد ، وكأنه منسوب إلى الكرس الذي هو الملبَّد ، وليس ثمة كرسيٌّ ولا قاعد ، وإنما هو تمثيل لعظمة شأنه عزَ وجل وسعة سلطانه ، وإحاطة علمه بالأشياء قاطبةً ، وقيل كرسيُّه مجاز عن علمه أخذاً من كرسي العالم ، وقيل عن ملكه أخذاً من كرسي الملك ؛ فإن الكرسيَّ كلما كان أعظم تكون عظمةُ القاعد أكثر وأوفر ، فعبر عن شمول علمه أو عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيّه وإحاطته بالأقطار العلوية والسفلية ، وقيل هو : جسم بين يدي العرش محيطٌ بالسموات السبع" (٣).

الموضع الثالث والعشرون قوله تعالى : ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ

(١) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ص٢٠٤.

(٢) التحرير والتنوير(٢٣/٣) ، وينظر : جامع البيان (٤٠١/٥).

(٣) إرشاد العقل السليم(٢٤٨/١) بتصرف عن طريق الحذف.

جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٦٦]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ حالاً من فاعل ﴿ أَيَوَدُّ﴾ وهو ﴿أَحَدُكُمْ﴾ ، والسر في التعبير بها : تشبيه حال الإنسان الذي يفسد ثواب عمله الصالح بالمن والأذى والرياء[(١)]وهو في أشد الحاجة إلى ثواب عمله ، بحال من وصل إلى سن كبيرة يعجز معها عن الكسب والعمل وتحصيل الرزق ، وليس عنده سوى حديقة في أشد الحاجة–هو وأولاده–إلى منافعها وثمارها ، فهي مصدر كسبه الوحيد ؛ لكبر سنّه ، وصغر أولاده ، وعجزه عن تحصيل رزقه من غيرها ، فأصابها إعصار فيَه نار فأحرقها ودمرها ، فلم ينتفع بها وهو في أشد الحاجة إليها.

ويجوز أن تكون الواو في جملة الحال–﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ – : "للعطف حملاً على المعنى ، فكأنه قيل : أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر"[(٢)][(٣)]

قال صاحب روح المعاني : "﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ أي أثّر فيه علو السن والشيخوخة ، وهو أبلغ من كبر ، والواو للحال ، والجملة بتقدير "قد" في موضع

(١) كما في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٦٤]

(٢) أنوار التنزيل : (١٥٩/١).

(٣) قال العلامة أبو البقاء العكبري : "وهو ضعيف ؛ إذ لا حاجة إلى تغيير اللفظ مع صحة معناه" التبيان في إعراب القرآن : ص٢١٨.

نصب على الحال من فاعل﴿ أَيَوَدُّ ﴾أي : أيود أحدكم ذلك في هذه الحال التي هي مظنة شدة الحاجة إلى منافع تلك الجنة ومئنة العجز عن تدارك أسباب المعاش" (١)

" والمعنى تمثيل حال من يفعل الأفعال الحسنة ويضم إليها ما يحبطها كرياء وإيذاء في الحسرة والأسف ، فإذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته إليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه"(٢)

الموضع الرابع والعشرون قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٦٧]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾ حالاً من فاعل ﴿تُنفِقُونَ﴾ وهو "الواو" ، والسر في التعبير بها : نهي المؤمنين عن الإنفاق من المال الخبيث الرديء ، والحال أنكم-أيها المؤمنون- لا تأخذونه-أي : المال الخبيث-في حقوقكم ومعاملاتكم في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا في حال إغماضكم فيه ، وتساهلكم في قبوله ، وتغافلكم عن رداءته ، فما لا ترضونه لأنفسكم لا تفعلونه مع الله ، قال تعالى : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران

(١) روح المعاني(٣٧/٣) بتصرف عن طريق الحذف ، وينظر : جامع البيان(٥٤٣/٥) ، والكشاف(٣١٤/١) ، والبحر المحيط (٦٧٣/٦) ، وإرشاد العقل السليم(٢٦٠/١).

(٢) أنوار التنزيل : (١٥٩/١).

الآيـــة : ٩٢] ، وفي الحديث "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً"(١) ، وفي هذا من الدلالة على التوبيخ والتقريع لهم على إعطائهم الخبيث وتركهم الطيب مالا يخفى.

ويجوز أن تكون جملة الحال-﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾- : استئنافية لا موضع لها(٢).

"على أن المنهي عنه هو القصد للرديء من جملة ما في يده ، فيخصه بالإنفاق في سبيل الله ، وأما إنفاق الرديء لمن ليس له غيره ، أو لمن لا يقصده فغير منهي عنه"(٣)

قال صاحب التحرير والتنوير : "﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ جملة حالية من ضمير ﴿تُنفِقُونَ﴾ ، ويجوز أن يكون الكلام على ظاهره من الإخبار ؛ فتكون جملة الحال تعليلاً لنهيهم عن الإنفاق من المال الخبيث شرعاً بقياس الإنفاق منه على اكتسابه قياس مساواة ، أي كما تكرهون كسبه كذلك ينبغي أن تكرهوا إعطاءه ، وكأن كراهية كسبه كانت معلومة لديهم متقررة في نفوسهم ؛ ولذلك وقع القياس عليها ،

ويجوز أن يكون الكلام مستعملاً في النهي عن أخذ المال الخبيث ، فيكون الكلام منصرفاً إلى غرض ثان وهو النهي عن أخذ المال الخبيث ، والمعنى : لا تأخذوه ، وعلى كلا الوجهين هو مقتض تحريم أخذ المال المعلومة حرمته على من هو بيده ، ولا يحله انتقاله إلى غيره"(٤).

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، حديث رقم (١٠١٥) (٧٠٣/٢) ، تحقيق : الشيخ : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت–لبنان ، بدون تاريخ.

(٢) ينظر : البحر المحيط : (٦٨٠/٢) ، والتبيان في إعراب القرآن : ص٢١٩.

(٣) البحر المحيط : (٦٨٠/٢).

(٤) التحرير والتنوير(٥٧/٣) ، وينظر : الكشاف(٣١٥/١) ، والجامع لأحكام القرآن(٣٢٦/٣) ، وأنوار التنزيل(١٥٩/١) ، وإرشاد العقل السليم(٢٦١/١) ، وروح المعاني(٣٩/٢).

الموضع الخامس والعشرون قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٢٧٥]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ حالاً من فاعل ﴿قَالُوٓاْ﴾ ، والسر في التعبير بها : بيان حال الكافرين من إنكارهم للشريعة ومخالفتهم لأوامره –جل في علاه– ، ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة[(١)]، والسر في التعبير بها : الرد من الله على الذين يتعاملون بالربا ، والإنكار عليهم في تسويتهم الربا بالبيع في قولهم ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ، وفيه من الدلالة على الترهيب من التعامل بالربا ، وعلى فساد قياسهم وبطلانه ما لا يخفى ؛ إذ هو معارض للنص.

قال العلامة الآلوسي : " ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ جملة مستأنفة من الله تعالى رداً عليهم وإنكاراً لتسويتهم ، وحاصله : أن ما ذكرتم قياس فاسد الوضع ؛ لأنه معارض للنص فهو من عمل الشيطان ، على أن بين البابين فرقاً ، وهو أن من باع ثوباً يساوي درهماً بدرهمين فقد جعل الثوب مقابلاً لدرهمين ، فلا شيء منهما إلا وهو في مقابله شيء من الثوب ، وأما إذا باع درهماً بدرهمين فقد أخذ الدرهم الزائد بغير عوض ، ولا يمكن جعل الإمهال عوضاً ؛ إذ الإمهال ليس بمال حتى يكون في مقابله المال ، وجوز أن تكون الجملة من تتمة كلام الكفار إنكاراً للشريعة وروداً لها ، أي مثل هذا من الفرق بين المتماثلات لا يكون عند الله تعالى فهي حينئذ حالية ، وفيها– قد– مقدرة ولا يخفى أنه من البعد بمكان "[(٢)]

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم : (٢٦٦/١) ، وروح المعاني (٤٩/٢).

(٢) روح المعاني (٤٩/٢) بتصرف عن طريق الحذف ، وينظر : البحر المحيط(٧٠٨/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢٦٦/١) ، والتحرير والتنوير(٨٤/٣ ، ٨٥).

وقد ذكر العلامة الرازي أوجهاً خمسة في سبب تحريم الربا :

" أحدها : الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض ؛ لأن من يبيع الدرهم بالدرهمين نقداً أو نسيئة فيحصل له زيادة درهم من غير عوض.

ثانيها : الله تعالى إنما حرم الربا من حيث إنه يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب ؛ وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقداً كان أو نسيئة خف عليه اكتساب وجه المعيشة ، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة ، وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات.

ثالثها : أنه يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ؛ لأن الربا إذا طابت النفوس بقرض الدرهم واسترجاع مثله ، ولو حل الربا لكانت حاجة المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين ، فيفضي ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان.

ورابعها : هو أن الغالب أن المقرض يكون غنياً ، والمستقرض يكون فقيراً ، فالقول بتجويز عقد الربا تمكين للغني من أن يأخذ من الفقير الضعيف مالاً زائداً، وذلك غير جائز برحمة الرحيم.

وخامسها : أن حرمة الربا قد ثبتت بالنص ، ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق ، فوجب القطع بحرمة عقد الربا ، وإن كنا لا نعلم الوجه فيه"(١)

الموضع السادس والعشرون : قوله تعالى﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة من الآية : ٢٨٦]

حيث وقعت الجملة الفعلية الماضوية المسبوقة بأداة الشرط ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ

(١) مفاتيح الغيب(٧/٧٤) بتصرف عن طريق الحذف.

﴿أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ في محل نصب على الحال من الضمير "نا" في ﴿لَا تُؤَاخِذۡنَآ﴾ ، والسر في التعبير بها : توجُّه المؤمنين إلى الله وتضرعهم في الدعاء بألا يؤاخذهم على ما صدر عنهم في حال نسيانهم أو خطئهم من أفعال لا ترضيه سبحانه وتعالى ، وفيه من الدلالة على شدة خشية المؤمن من الله ما لا يخفى ؛ فهذه الخشية تحمل المؤمن على التوجه إلى الله دائماً بالدعاء بعدم المؤاخذة على أي ذنب يصدر عنه حتى في حال نسيانه أو خطئه ، وفي هذا من التعليم للمؤمنين كيفية الدعاء مافيه.

قال صاحب الكشاف :

" قوله تعالى ﴿لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ أي : لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إن فرط منا ، فإن قلت : النسيان والخطأ متجاوز عنهما ، فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما؟ قلت : ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما : ما هما مسببان عنه من التفريط والإغفال ، ألا ترى إلى قوله : ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا﴾ [سورة الكهف من الآية : ٦٣]، والشيطان لا يقدر على فعل النسيان ، وإنما يوسوس فتكون وسوسته سبباً للتفريط الذي منه النسيان ؛ ولأنهم كانوا متقين الله حق تقاته ، فما كانت تفرط منهم فرطة إلا على وجه النسيان والخطأ ، فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذاناً ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به ، كأنه قيل : إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به ، فما فيهم سبب مؤاخذة إلا الخطأ والنسيان ، ويجوز أن يدعو الإنسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه"(١)

(١) الكشاف(١/ ٣٣٢ ، ٣٣٣). ، وينظر : أنوار التنزيل (١٦٦/١) ، وإرشاد العقل السليم(٢٧٧/١) ، وروح المعاني(٢/ ٦٧ ، ٦٨) ، والتحرير والتنوير(٣/ ١٣٩ ، ١٤٠).

خاتمة البحث

الحمد لله على جزيل فضله وعظيم إنعامه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد(ﷺ) نبيه ورسوله.

وبعد :

فقد منَّ الله عليَّ بأن يسر لى الكتابة في هذا البحث ، فأحمده سبحانه وأشكره ، وأسأله رضاه ومغفرته ، وقد توصلت في هذا البحث إلى عدة نتائج وتوصيات ، أهمها ما يلي :

أولاً : النتائج :

١- تندرج الجملة الحالية تحت الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم.

٢- وردت الجملة الحالية الماضوية في سورة البقرة في ستة وعشرين موضعاً ؛ لتضيف الكثير من الدلالات والمعاني والأسرار التي تتناسب تمام التناسب مع السياق الذى وردت فيه .

٣- تنوعت الجملة الحالية الماضوية الواقعة في سورة البقرة ما بين :

أ- مجردة ، وعددها : (عشرة مواضع).

ب- مسبوقة بالواو فقط ، وعددها(أربعة موضع).

ج-مسبوقة بأداة الشرط ، وعددها(ثلاثة موضع).

د-مسبوقة بـ"قد والواو" ، وعددها(ثلاثة موضع).

هـ-مسبوقة بالواوولو ، وعددها(موضعان).

و-مسبوقة بحرف الاستدراك ، وعددها(موضع واحد).

ز-مسبوقة بحرف النفي والواو ، وعددها(موضع واحد).

ح-مسبوقة بما النافية والواو ، وعددها(موضع واحد).

ط-مسبوقة بهمزة الاستفهام والواو ولو ، وعددها(موضع واحد).

٤- تنوعت أسرار التعبير بالجملة الحالية الماضوية في سورة البقرة ما بين شك ، وذم ومبالغة في الوعيد ، ودوام واستمرار ، وتأكيد ، وتمرد وعصيان ، وتعريض ، وإنكار ، وتبرؤ ، وترقب ، وتعليل ، ونهي ، وبيان ، وتقرير ، وتشبيه ، وتضرع.

٥- بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للشك(موضعاً واحداً).

٦- بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للذم والمبالغة في الوعيد (موضعين).

٧- بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للدوام والاستمرار (موضعين).

٨- بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للتأكيد(ثلاثة مواضع).

٩- بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للتمرد والعصيان والعناد(أربعة مواضع).

١٠-بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للتعريض(ثلاثة مواضع).

١١-بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للإنكار (موضعين).

١٢-بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للتبرؤ (موضعاً واحداً).

١٣-بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للترقب (موضعاً واحداً).

١٤-بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للتعليل (موضعين).

١٥-بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للنهي (موضعين).

١٦-بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للبيان (موضعاً واحداً).

١٧-بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للتقرير (موضعاً واحداً).

١٨-بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للتشبيه (موضعاً واحداً).

١٩- بلغ عدد مواضع الجملة الحالية الماضوية المفيدة للتضرع (موضعاً واحداً).

ثانياً : بعض التوصيات المقترحة :

١–أوصي بدراسة موضوع الجملة الحالية في القرآن الكريم على نطاق أوسع ، بأن يتم تناول الجملة الحالية المضارعية وأسرارها ، والجملة الحالية الاسمية وأسرارها ، وشبه الجملة الحالية وأسرارها، أو يتم التقسيم حسب أقسام الحال ، بأن يتناول بعض الباحثين دراسة الحال المؤسسة في القرآن ، وفريق ثان يتناول الحال المؤكدة في القرآن الكريم ، وفريق ثالث يتناول الحال المقدرة في القرآن ، وهكذا.

٢– كما أوصى بتوسيع مجال البحث في أوجه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم.

وأخيراً : فهذا غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، وقليل من كثير مما يستحقه هذا الموضوع ، ولكني حاولت واجتهدت ، فما كان فيه من صواب فمن الله ، وما كان من خطأ فمني ، وحسبي أنني بشر أصيب وأخطئ ، والكمال لله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم –جل من أنزله-

١–ارتشاف الضرب من لسان العرب : للعلامة : أبي حيان الأندلسي أثير الدين محمد بن يوسف بن علي ، تحقيق وشرح ودراسة : د : رجب عثمان محمد ، مراجعة : د : رمضان عبد التواب ، ط : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة : الأولى : ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨

٢–إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت–بدون تاريخ.

٣–الأصول في النحو : للإمام أبي بكر محمد بن السري بن سهل الشهير بابن السراج النحوي ، تحقيق : الدكتور / عبد الحسين الفتلي ، ط : مؤسسة الرسالة ، لبنان – بيروت ، بدون تاريخ.

٤–أمالي ابن الشجري : للعلامة : هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة ، المعروف بابن الشجري ، تحقيق : الدكتور محمود محمد الطناحي ، الناشر : مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩١ م.

٥–أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للقاضي : ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة : الأولى : ١٤١٨هـ.

٦–البحر المحيط في التفسير : للإمام : أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، ط : دار الفكر – بيروت–ط سنة : ١٤٢٠هـ.

٧- تاج العروس من جواهر القاموس : للعلامة : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ط : مطبعة حكومة الكويت ، ط سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
٨-التبيان في إعراب القرآن : للعلامة أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط : عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط سنة١٩٧٦م.
٩-التحرير والتنوير : تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد : للعلامة الشيخ/محمد الطاهر ابن عاشور ، ط : الدار التونسية للنشر والتوزيع ، ط سنة : ١٩٨٤م.
١٠-جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للإمام : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : الشيخ : أحمد محمد شاكر ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
١١-جامع الدروس العربية : للشيخ : مصطفى الغلاييني ، ط : المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت ، الطبعة : الثامنة والعشرون : ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
١٢-حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : للعلامة الشيخ : محمد بن علي الصبان الشافعي ، ط : دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، الطبعة : الأولى ١٤١٧هـ /١٩٩٧م.
١٣-الخلاصة في النحو(ألفية ابن مالك) : للإمام : أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي ، ضبطها وعلق عليها : الدكتور : عبد اللطيف بن محمد الخطيب ط : مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع في الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للعلامة شهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥ هـ.

١٥-سيرة ابن إسحاق : للعلامة : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاءالمدني ، تحقيق : سهيل زكار ، ط : دار الفكر – بيروت ، الطبعة : الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

١٦-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : لقاضي القضاة : بهاءالدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ، تحقيق العلامة الشيخ : محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط : دار التراث ، القاهرة ، الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

١٧-شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك : للعلامة : ابن الناظم أبي عبد الله بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط : دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

١٨-شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : للإمام : جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، الناشر : الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا بدون تاريخ.

١٩-شرح قطر الندى وبل الصدى : للإمام : جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقيق العلامة : محمد محيى الدين عبد الحميد ، الناشر : القاهرة ، الطبعة : الحادية عشرة : ١٣٨٣هـ.

٢٠- شرح المفصل للزمخشري : للعلامة : موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٢ / ٢٠٠١ م.

٢١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : للعلامة : إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط : دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة : الرابعة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٢٢- القاموس المحيط : للعلامة : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ،

تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، ط : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، الطبعة : الثامنة : ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م.

٢٣-قطر الندى وبل الصدى : للإمام : جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، ط : دار العصيمي للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى بدون تاريخ.

٢٤-الكتاب : (كتاب سيبويه) : للعلامة أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه ، تحقيق : د : عبد السلام محمد هارون ، ط : مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨ م.

٢٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للإمام : أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ط : دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة : الثالثة : ١٤٠٧هـ.

٢٦- لسان العرب للعلامة : محمد بن مكرم بن منظور ، ط : دار صادر – بيروت– الطبعة : الثالثة : ١٤١٤هـ.

٢٧-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٢هـ.

٢٨-معاني القرآن وإعرابه : للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، تحقيق : د : عبد الجليل عبده شلبي ، ط : عالم الكتب – بيروت ، الطبعة : الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

٢٩-مفاتيح الغيب : للإمام : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة : الثالثة : ١٤٢٠هـ.

٣٠-المفردات في غريب القرآن : للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف

بـ"لراغب الأصفهانى ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، ط : دار القلم- والدار الشامية – دمشق – بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤١٢هـ.

٣١-المقتضب : للعلامة : أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة ، ط : عالم الكتب. – بيروت بدون تاريخ.

٣٢-همع الهوامع شرح جمع الجوامع : للإمام : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : د/ عبد الحميد هنداوي ، ط : المكتبة التوفيقية – مصر بدون تاريخ.